المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع بعد المائة

١ مبرسنة ١٩٤٥ — ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٤

بحث علمي تعليمي

الثدييات

Mammalia

اختلف الكتّاب زمناً، ولا يزالون مختلفين، في وضع المقابل العربي للمصطلحات التي تعبر عن طبقات الاحياء في علم التصنيف Taxonomy (أو) Classification، ويقصد به ترتيب أصناف مملكتي الحيوان والنبات ترتيباً تطابقيًّا، بحيث يظهر من ذلك الترتيب سلسلة تطورها ومتواليـة نشوئها، على قدر ما يؤهل الباحثين علم الاحياء الوصفي، ونقصد به ما جرينا على تسميته الى الآن علم التاريخ الطبيعي حيناً، وعلم المزاليد حيناً آخر، والمصطلحات الثلاثة طيبة ولا مأخذ عليها، فلا حرج من استعمالها مترادفة.

* * *

ومن أجل أن نتكلم في الثدييات التي هي الشعب الأعلى في الفقاريّات، ينبغي لنا أن نذكر هنا ما انتهى اليه مجمع اللغة العربية في مصطلحات التصنيف، وبالحري المصطلحات الدالة على مختلف الطبقات. واليك هي:

العالم	Kingdom	العشيرة	Group
العويلم	Sub-Kingdom	العُشيرة	Sub-group
الأمّة	Phylum	الفصيلة	Family
الأُمَيْمة	Sub-phylum	الفصيّلة	Sub-family
الشُّعْب	Class	الجنس	Genus
الشُّعَيْب	Sub-class	الجنيّس	Sub-genus
القَبيلة	Order	النوع	Species
القُبَيّلة	Sub-order	النُّوَيْع	Sub-Species
العشيرة	Tribe	الضرب	Variety
العُشَيِّرة	Sub-tribe	الضُّرَيْب	Sub-variety

وهنالك مصطلحات أخرى لا تدخل في باب التصنيف ، وإنما تدخل في بحوث الوراثة كالنسل والسلالة والبطن والعترة ليس هذا موضع ذكرها .

والثدييات في طبقات التصنيف شعب : Class ، أما الكلمة المستعملة : Mammals فترجمتها ذوات الثدي ، والكلمة الاصطلاحية : Mammalia : الثدييات ، وهو اصطلاح يسهل استعماله لغويًّا . ذلك بأن الثدييات لفظة تؤدي أغراض اللغة كاملة ، وتقصد أغراض الاستعمال اللغوي من إفراد وتثنية وجمع ونسبة الى غير ذلك ، فنقول ثدي وثديان وثدييات ، وتتفادى بذلك ما يتضمنه اثبات اللفظ « ذوات » من الصعوبات إذ سماها بعضهم « ذوات الثدي » . وقد أجاز مجمع اللغة هذا الاصطلاح .

وقد اختلف كثير من الكتّاب على تسمية الطبقة المعينة للثدييات في تصنيف الفقاريّات فسماها بعضهم « طائفة » وقال الآخرون « قسم » وغيرهم « مرتبة » ، والاصلح أن نجري على ما أقرّه مجمع اللغة ، فلفظة « شعب » هي عندي أصلح هذه الالفاظ . بل لقد تطرّف أحدهم في تعريف معجمي فعرّب المصطلح وقال « الماماليا » ، وهذا إفراط لا موجب له .

فان الثدييات إحدى شعوب ستة تنقسم اليها مملكة الحيوان ، وهي :

الثدييات	Mammalia	البرمائيات	Amphibia
الطيور	Aves	الأسماك	Pisces
الزواحف	Reptilia	الفقاريات الدنيا	Lower Vertebrates

هذا عند الذين يعتبرون الفقاريات مُستَمْلِكة من مملكة الحيوان . والذين هم على هذا أكثرية ، وعلى مذهبهم يتعين أن تكون الثدييات شعباً : Class ؛ وهنالك طائفة اخرى ، وهم أقلية ، يعتبرون الفقاريات مملكة Kingdom ، وبذلك يتعين أن تسمى كلٌّ من طبقاتها « أمة » : Phylum . وكلا الاعتبارين يمكن الحصول على ما يؤيده علميًّا في التصنيف . على أن الأكثرية هم الذين يعتبرون الفقاريات مُستَمْلِكة ، ورأيهم أثبت .

كذلك ينبغي ان ننبه على خطإ شائع . ذلك قول بعض الكتّاب « ذوات الفقرات » تعريباً بالفقاريات . ذلك بأنّ الفَقَرات والفقارات جمعان يستعملان لغويًّا لتمييز العدد لا غير . وإنما الجمع المستعمل للدلالة على الجنس هو الفَقَار . وظني أنه لم يرد غير ذلك في كلام لغوي . وانظر قول ابن منظور في لسان العرب « فَقَار العجز ست فقارات » . فهو يذكر الفقار للدلالة على الجنس ، ويميز العدد بالفَقَارات . ألم تسمع بأن ضيفاً لعلي بن أبي طالب سمّى « ذا الفقار » ، لأن به فقاراً يشبه فقار الظَّهْر ؟

أما تفضيل ترجمة اصطلاح : Mammalia بالثدييات فأرجح وجوهه إنها ترجمة على الحقيقة تدل على الصفة الذي أخذ منها المصطلح الأعجمي . على العكس مما لو سميناها «الحيوانات المَثْنُون» أو « الثِّيونَة» كما قال بعضهم خطأً ، فان ذلك يكون وضعاً على المجاز ، لا ترجمة تطابق المعنى الاصلي ، أي على الحقيقة .

ومحصّل ما مضينا فيه من بحث هو أن — « الثدييات شعب من مملكة الحيوان (أو مملكة الفقاريات) يمتاز أفراده بأن لها ثُديًا تفرز ألبان لتغذية الولائد » .

وقد دخل هذا الاصطلاح في الاستعمال العلمي في اللغات الأوربّية في أواسط القرن الثامن عشر فذكرتها الموسوعة البريطانية سنة ١٧٧٣ (ج ٣ ص ٣٦٢) . ثم جرى على استعمالها العلماء .

ومما يؤيد ما أذهب إليه في ترجمة هذا الاصطلاح ما جاء في كتاب كيرتج « للتاريخ الطبيعي » (ص ١ ج ١٠) فقيه ما يلي : « اشتق اسم الثدييات من أظهر صفة فيها ، وهي أن لها أثداء وحلمات . أما إذا أريد استعمال الاصطلاح بمعنى حرفي ، بحيث لا يحمل من الدلالة أكثر مما يجيز الاشتقاق ، فانه لا يشمل المملكيات Monotremes أو Monotremata ذلك بأن هذه القبيلة إن كان لها غدداً ثديية ، فان حلماتها لم تبلغ من التَّحَفي والظهور حدًّا كبيراً . غير أن في المملكيات من جهة أخرى صفات تلزمنا اعتبارها من الثدييات » .

أما تصنيف الثدييات فقد أهتديت إلى آخر ما يستنتج من بحوث المواليدين فيه بحسب اعتبار تقاسيمهم . فالتصنيف التالي من وضع الأستاذ « ليدكر » Lydekker ، وهو كما يرى

تصنيف يبدأ بالطبقة العليا وينتهي بالطبقة الدنيا :

صف الثدييات : Class : Mammalia

الشعيب الأول : Sub-class I

Viviparous Mammals (Eutheria or Vivipara)

الثدييات الولود — أو — الولودات

القسم (أ) : Section A

المشيميات : Placentals or Placentalia

القبيلة ١ — الرئيسات : Order 1 — Primates

» ٢ — الخفاشيات ,, 2 — Chiroptera

» ٣ — الحشريات ,, 3 — Insectivora

» ٤ — اللواحم ,, 4 — Carnivora

» ٥ — القواضم ,, 5 — Rodentia

» ٦ — الأناعيم ,, 6 — Ungulata

» ٧ — الخيلان ,, 7 — Sirenia

» ٨ — الحيتان ,, 8 — Cetacea

» ٩ — الدرداوات ,, 9 — Edentata

القسم (ب) : Section B

اللامشيميات : Imblacentals (or) Implacentalia

القبيلة ١٠ — الجرابيات Order 10 — Marsupialia

الشعيب الثاني : Sub-Class II

Egg-laying Mammals (Hypotheria or Ovipara)

الثدييات البيوض (أو) البيوضات

القبيلة ١١ — المبلكيات Order 11 — Monotremata

أما التصنيف التالي فمن كتاب كمبردج للتاريخ الطبيعي في الجزء الخاص بالثدييات تأليف الأستاذ « بدرد » F. E. Beddard ، وهو كما يرى تصنيف يبدأ بأسفل الطبقات وينتهي بأعلاها .

شعب الثدييات : Class : Mammalia

شعيب الغوارط 1. Sub-Class : Protetheria

القبيلة ١ ـ المسلكيات أو الثوذريات Order 1 — Monotremata or Allotheria

شعيب الولودات : II. Sub-Class : Eutheria

القبيلة ٢ — الجرابيات	Order 2 — Marsupialia
« ٣ — المدرداوات	„ 3 — Edentata
« ٤ — الثنيات	„ 4 — Canodonta (ext.)
« ٥ — الاناعيم	„ 5 — Ungulata
« ٦ — الخيلان	„ 6 — Sirenia
« ٧ — الحيتان	„ 7 — Cetacea
« ٨ — اللواحم	„ 8 — Carnivora
« ٩ — القرميات	„ 9 — Creodonta (ext.)
« ١٠ — القواضم	„ 10 — Rodentia
« ١١ — النهاسيات	„ 11 — Tillodontia (ext.)
« ١٢ — الحشريات	„ 12 — Insectivora
« ١٣ — الخفافيات	„ 13 — Chiroptera
« ١٤ — الرئيسات	„ 14 — Primates or Primata

والذي يتضح من الموازنة بين التصنيفين ان الأستاذ بدرد يزيد على تصنيف الأستاذ ليدكر ثلاث قبائل جميعها بائد ، هي المعرفة بالأرقام ٤ و ٩ و ١١ (ext.) وغرضه من هذا أن يبين طريقة التسلسل في الطبقات وتطور وجودها. وفيما عدا ما ذكر فالخلاف بينهما ضئيل .

اسماعيل مظهر

دار الامارة

أو

قصر بيت الدين

شادها المولى الشهابي الذي جاء بالسعد بشيراً للانام
وعلى باب الحمى قد أرخوا دام نصر فادخلوها بسلام — ١٢٤٥

على قمة من قمم لبنان وفي رأس واد شديد الخضرة بديع المنظر والى جانب ظلال من الماء الزلال قصر باذخ متين البنيان رفيع الاركان يشرف على دير القمر وبعقلين ويمتد البصر منه الى البحر بحر الروم

هذا هو دار الامارة أو قصر الامير بشير شهاب أمير لبنان وحليف محمد علي وابراهيم

والقصر بما حوى من دور فسيحة وقسقيات بديعة وأبهاء وحجر وحمامات شرقية فائقة الجمال يدل على خلق صاحبه وحبو تفكيره وحسن تدبيره وجمعه بين القوة والجمال والحسن والجلال

وقد عمدت حكومة لبنان الى اصلاح القصر وترميمه واعادته الى سابق بهائه وبنساء بوابته الكبرى ومدخله المقوس الى الميدان ، وقد نسفا بانفجار الذخيرة العسكرية في سنة ١٩١٢

وعهدت في هذا الاصلاح والترميم الى عالم أثري كبير هو الامير موريس شهاب مدير مصلحة الآثار اللبنانية فدرس تاريخ القصر وجمع ما استطاع الوقوف عليه من صوره ووصفه ووضع خططاً محكمة للاصلاح والترميم واستعان بصناع بارعين من البنائين والنجارين وجلب من دمشق وسواها أبواباً ونوافذ وسقوفاً عربية من الخشب المزخرف والمطعم والملون لاستعمالها في الترميم

قاعة استراحة

في قصر الامير بشير

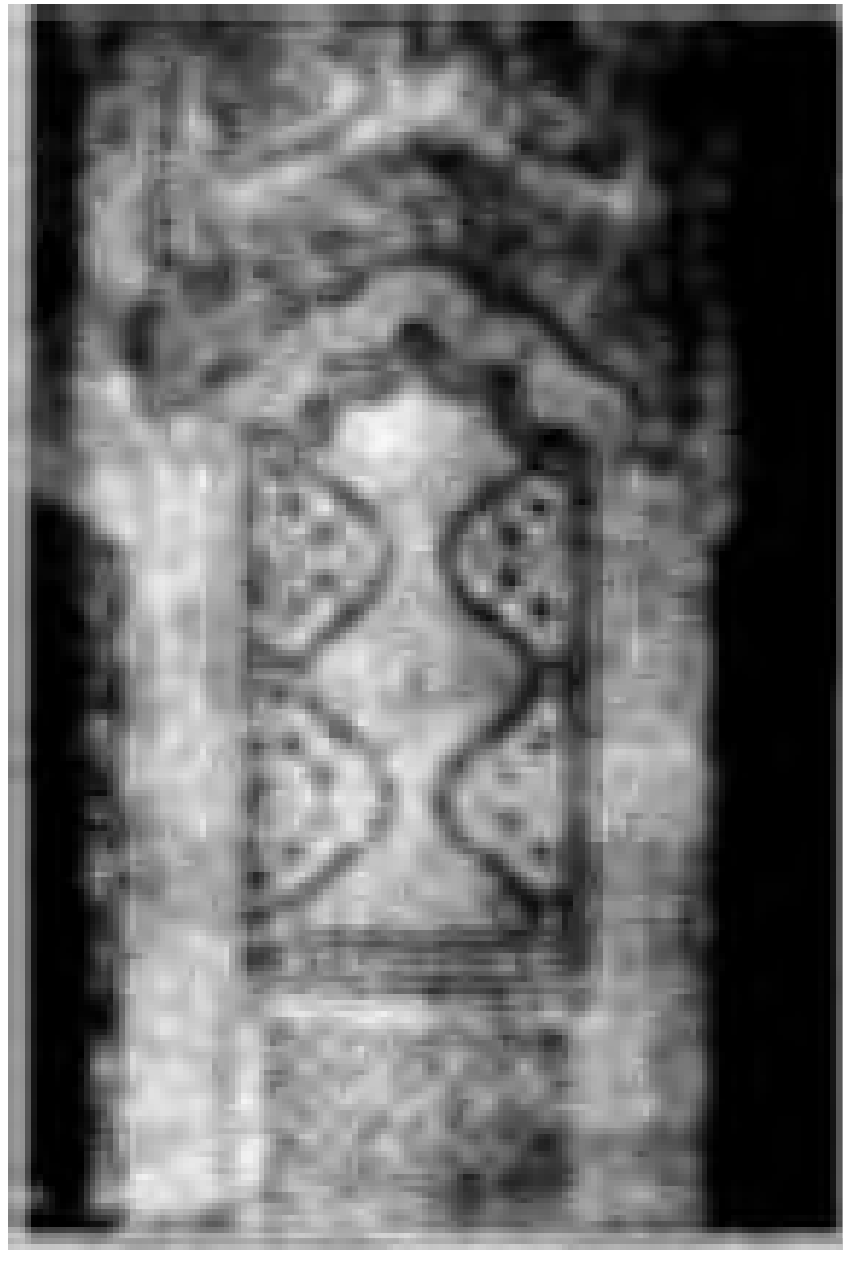

حنية في إيوان دار الحريم الغربي

نقوش المدخل الكبير لدار الحريم السفلي والسلاملك

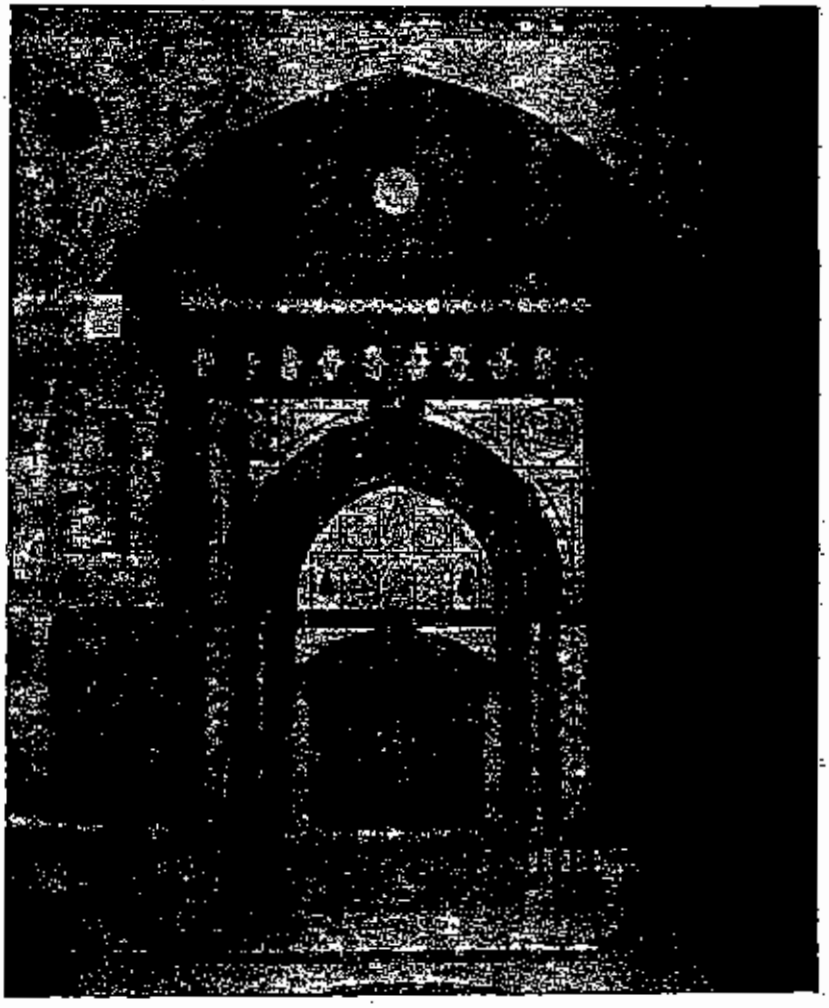

باب دار الحريم في قصر الأمير بشير

والقصر يجمع بين الحسن والفخامة وله حديقة من الحدائق التي صنعت للاحلام. والى جانبها حمامات شرقية ثلاثين مستحمًّا أرضها من الرخام المزوع المختلف الألوان وفيها أجران من المرمر يتحدر اليها الماء الساخن والماء البارد من حنفيات في واجهات بديعة من الرخام الملون والفسيفساء

***

وأجل ما في القصر البهو الكبير المعروف بقاعة العمود سمي كذلك نقلاً عن بهو كبير في قصر دير القمر قائم على عمود ضخم في وسطه

وقاعة العمود مزخرفة الجدران بالأساليب الشرقية البديعة من رخام ملون ومقرنص ومنقوش ومحفور وفيها استقبل الأمير بشير ابراهيم باشا الكبير

والسقف تربي مذهب وقد جدد من نحو ٤٠ عاماً فزاد البهو جمالاً ويجواره مدخل دار الحريم تعلوه قنطرة كبيرة تستوقف النظر وجدران جميلة المنظر كثيرة الألوان وقد نقش عليها أبيات شعر من نظم المعلم بطرس كرامة كاتبة (سكرتير) الأمير وهو ناظم البيتين الذين نشرناهما في صدر هذا المقال وقد نقشا على باب القصر الأكبر المؤدي الى صحن الدار العظيم حيث النافورة الكبرى

وفي دار الحريم غرف كثيرة للنوم وأبهاء للاستقبال وهذه الأبهاء مزخرفة وأرضها من بلاط الرخام المختلف الألوان

وفي الحديقة قبة تحتها قبر من الرخام الجميل دفنت فيه زوجة الأمير الأولى فرقدت في محيط من النور والحسن والبهاء

ورقد قرينها العظيم في دير أرمني في استانبول حيث توفي منفيًّا بعد خروج ابراهيم باشا من سورية ولبنان

***

وبعد حوادث ١٨٦٠ وانشاء حكومة المتصرفية في لبنان اشترت الدولة العثمانية القصر من زوجة الأمير الثانية وجعلته مقرًّا لحكومة لبنان المركزية وأضيف اليه بعد ذلك مبانٍ

لايواء بعض مصالحها كمجلس الادارة ومحكمتي الاستئناف وتكنّ الجند وقد هدمت هذه الثكن الآن لاعادة القصر الى شكله السابق

وفي الدور الارضي للقصر أقبية عظيمة كانت اصطبلات لخيل الامير ورجاله وهي متصلة بالحديقة

والقصر كله مجهّز بالماء وفي أقسامه صنبيات كبيرة وصغيرة تسق بماء نبع القاع، وقد جره الامير صاحب القصر مسافة ١٧ كيلو متراً وانتهى في بيت الدين تجاه القصر الى هلال جميل يسمع صوت انحدار مائه في ذلك الوادي كله

وبنى الامير قصوراً لاخوانه الثلاثة وهم الامراء قاسم وأمين وخليل

وبنى لنفسه مصيفاً فوق بيت الدين هو الآن كرسي مطران الطائفة المارونية لصيدا ودير القمر. وقد حدد سيادة المطران أغسطين البستاني بناءه وبنى فيه كنيسة بديعة الصنع

***

وهناك مشروع لبناء فندق كبير في بيت الدين يجر اليه ماء الشلال قبل انحداره ويشترط الامير موريس شهاب أن يكون طراز بناء الفندق كطراز بناء القصر

واقترح بعضهم بناء كازينو منفصل عن الفندق

وشرعت الحكومة اللبنانية تصلح الطرق المؤدية الى بيت الدين من أربع جهات وعينت لذلك مليوني ليرا لهذا الغرض

وهناك حركة يراد بها نقل رفات الامير صاحب القصر من مدفنه في استانبول الى لبنان فيدفن في حديقة قصره لينعم به في مماته كما نعم به في حياته

وقيل لنا أن فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية سيقضي جانباً من فصل الصيف في هذا القصر وهو يزوره الآن ويقيم فيه أياماً وليالي في الصيف فيشرف على أعمال الاصلاح والترميم ويستريح من عناء الاعمال الرسمية ويتمتع بالنفس بتنافر تشرح الصدور وتقر العيون.

بيت الدين

غرفة الدلك في الحمامات

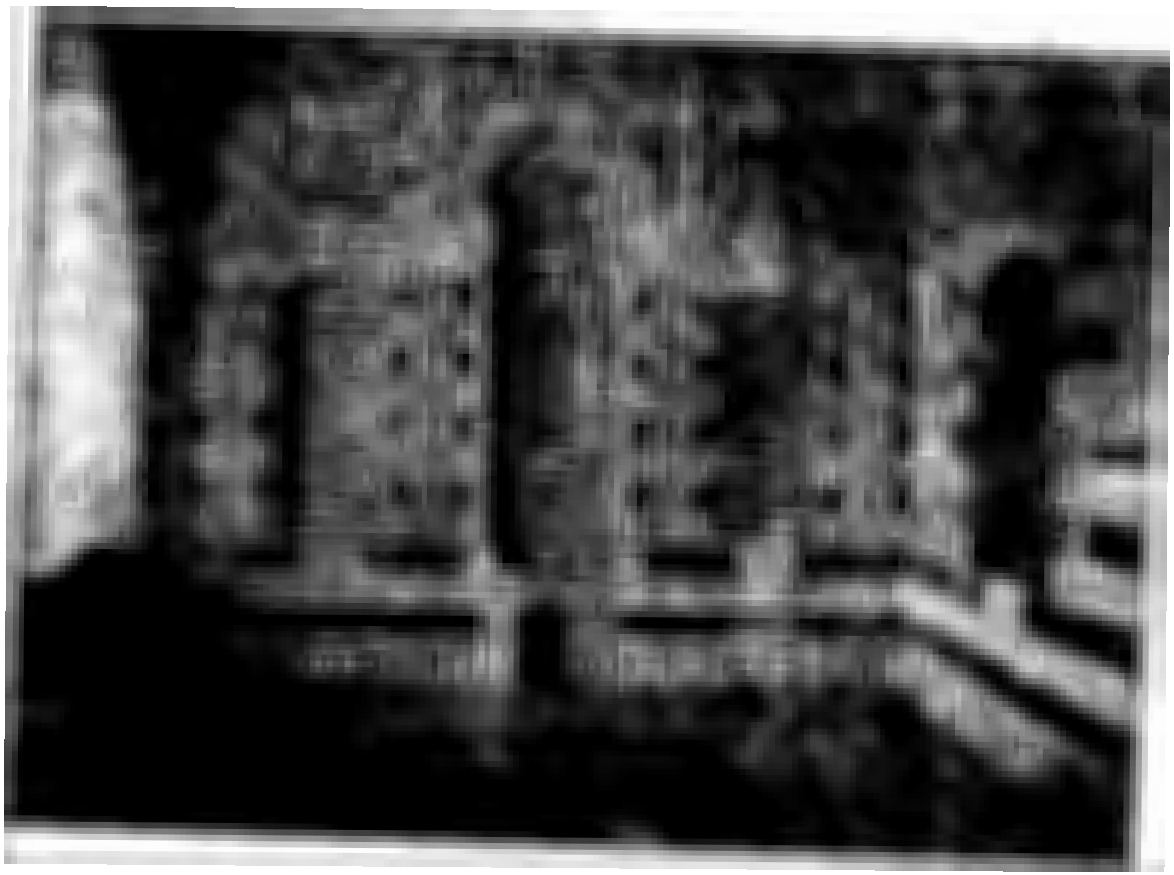

بيت الدين

مشهد في بهو الاستقبال (قاعة العمود)

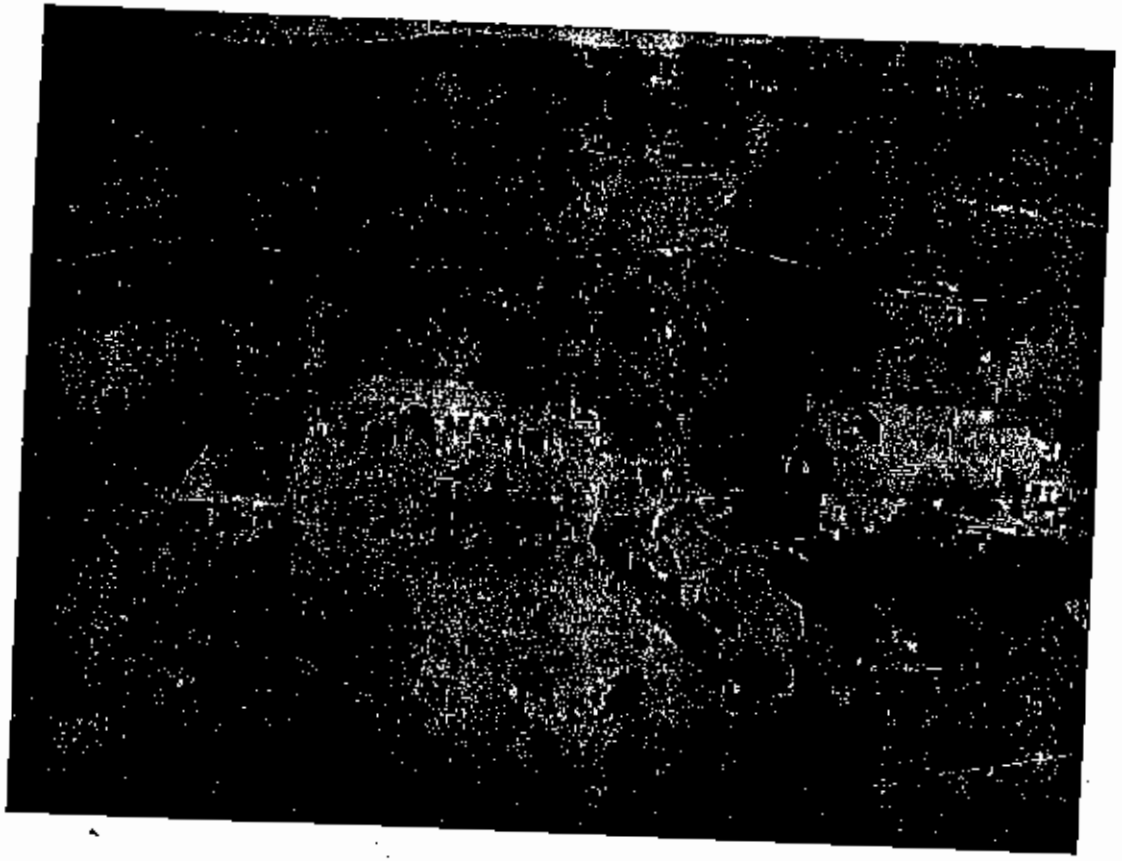

بيت الدين

مشهد عام لقصر الأمير بشير

إبل العم سام

لما أمعنت الولايات المتحدة الأميركية في التبسط غرباً الى ما وراء المسيسبي ، أخذ بعض المفكرين وأصحاب المصالح فيها يهتمون بتسهيل سبل المواصلات بين الولايات الشرقية والبلاد المفتوحة جديداً . وزاد هذا الاهتمام على أثر الحرب المكسيكية التي انتهت سنة ١٨٤٨ اذ غنمت الولايات المتحدة البلاد التي تشغلها الآن ولايات اريزونا ونيفادا ويوتاه ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأقسام من ولايتي ويومنغ وكلورادو .

ولم تكن السكك الحديدية مدّت الى الجبال الصخرية [1] بل كان الاعتماد في النقل والانتقال على العربات والخيل والبغال أو على السفن تدور حول أميركا الجنوبية بطريق مضيق مجلان . واهتمت وزارة الحربية كثيراً بأمر المواصلات في هذه البلاد الجديدة لأنها أقامت كثيراً من الحاميات العسكرية لتأمين المهاجرين الذين تقاطروا لاحتطاط الأراضي الزراعية أو للبحث عن الذهب الذي اكتشف في كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ . فزادت نفقات الحكومة كثيراً لكثرة الحاميات وتفرقها وصعوبة نقل مؤنها ومعداتها .

وقام أناس يشيرون باستيراد الابل والاعتماد عليها بدلاً من الخيل والبغال لأن البوادي تكثر في هذه البلاد الجديدة كما تكثر في البلاد العربية وشمال افريقية فلا شك ان الجمل يصلح بها .

وتألفت في نيويورك شركة لاستيراد الجمال والراجح عندي انها وقفت دون اتمام العمل ولم تستورد شيئاً . وقيل ان الاسبانيين جربوا الجمال في بيرو فوجدوا الباما llama أصلح منها في تلك البلاد . وجلب أحد الجلابين بعض الجمال الى فرجينيا حوالي سنة ١٧٠١ وجربها بعضهم في جامايكا فلم تأت هذه المساعي كلها بفائدة .

ولما تولى جفرسن دايفس [2] وزارة الحربية الأميركية رأى أن يستورد بعض الابل

(١) تم مد السكة الحديدية التي وصلت الباسفيكي بالاتلنتيكي أولا سنة ١٨٦٩ .

(٢) هو الذي تولى بعد ذلك رئاسة الولايات الجنوبية التي خرجت عن الاتحاد الاميركي في الحرب الاهلية الاميركية

فوافقه الكونغرس وخصص في ٣ من مارس سنة ١٨٥٥ ثلاثين الف دولار لهذا الغرض. وانتدب لمهمة ضابطين هما الماجر « هنري واين » Wayne والملازم « دايفد بورتر » Porter . فتولى « واين » أمر شراء الجمال وما يلزمها وتولى « بورتر » أمر السفينة التي خصصت لنقلها.

النصب التذكاري لابل العم سام

وسافر واين الى أوربة لجمع المعلومات عن الجمال ثم وافاه بورتر بالسفينة فتوجها الى تونس حيث اشترى « واين » جملا وأهداه الباي جملين . وأتيا الاسكندرية وكانت الحكومة المصرية قد حظرت إخراج الحيوانات من مصر ولكن سمح لواين بشراء بعض الجمال باذن خاص فاشترى تسعة كان أنضاها ناقة مهرية وحسن مشاري . ولم يذهب الى

الموانىء السورية إذ لم يكن فيها وسائل لنقل الجمال من البر الى السفينة فتوجه الى أزمير فاشترى فيها من الجمال ما اشترى ولكن بأسعار عالية إذ كانت حرب القرم دائرة الرحى والجمال تشترى بالآلوف للشؤون الحربية . ثم زار استانبول وبلاكلافا في القرم حيث أكرمه الضباط الانكليز وأطلعوه على كل ما شاء من أمر الجمال التي كانت معهم .

وقفلت السفينة راجعة بطريق أزمير والاسكندرية وكان فيها عدا الابل أناس استؤجروا من مصر وأزمير ليعتنوا بالجمال ويتعلم منهم الاميركيون . ووصلت الى انديانولا بساحل تكساس في ١٤ من مايو سنة ١٨٥٦ فأنزلت الى البر ٣٣ جملاً وبضعة من الجمالة المستأجرين ، ثم عادت الى البحر المتوسط فعادت سنة ١٨٥٧ بسبعة وأربعين جملاً أخرى .

وسيقت الابل كلها الى « كامب فردي » على نحو ٦٠ ميلاً من سان انطونيو حيث عملت في فتح الطرق ونقل الاوازم العسكرية .

***

وانتدبت وزارة الحربية الملازم « ادوود بيل » Beale ليرود طريقاً من فورت دفايس بنيو مكسيكو الى القسم الجنوبي من كاليفورنيا على محاذاة الخط الخامس والثلاثين في العرض الشمالي . وجهّزته بما يلزم من الرجال والخيل والبغال و ٢٨ جملاً . فاختار بيل فصل الحرّ والجفاف ليمتحن الابل في أصعب الفصول ، فسار الى الباسو على حدود المكسيك ومنها الى البوكركي ثم « فورت دفايس » .

وتخلّف أكثر الجمّالة المستأجرين من الشرق الأدنى عن مرافقة بيل في هذه الرحلة . قيل انهم كرهوا التعرض للأخطار وقيل ان أجورهم لم تدفع لهم حسب الشروط المتفق عليها ولكن بقي معه اثنان هما جورج الأغريقي والحاج علي . وبدأ « بيل » إرتياد الطريق الجديد من « فورت دفايس » في آخر أغسطس سائراً على محاذاة الخط الخامس والثلاثين من العرض الشمالي حتى عبر نهر الكلورادو الفاصل بين أريزونا وكاليفورنيا في ١٨ اكتوبر وكان بذلك ختام مهمته . وقد ثبت الآن أن بيل كان موفقاً في ارتياد الطريق إذ قد مدّت على تخطيطه سكة حديد سانتافي وفتحت طريق السيارات رقم ٦٦

وأعجب بيل بالجمال وامتدح صبرها على العطش وإقتياتها بنبات البادية ومقدرتها على نقل الاحمال الثقيلة . ولكن بعض الجنود ممن كان معه تبرّموا بها خصوصاً لأن الخيل والبغال كانت تجفل منها .

وبعد عبور الكلورادو توجّه بيل بالجمال إلى فورت تاهون في جبال بايكر شمالي كاليفورنيا . وقبل أن يصل إلى سان برناردينو أرسل الحاج علي في أثناء الطريق بجملين إلى لوس أنجلس فقطع الحاج ٦٥ ميلاً في ٨ ساعات . ولما وصل إلى ساحة لوس أنجلس نفرت الخيل والبغال وذعرت الأولاد وصار الخبر في القرية فتألب أهلها لرؤية الجملين والجمّالين الغريب الزي . ثم لحق بالملازم « بيل » في المركز العسكري بفورت تاهون ، حيث بقيت الجمال تعمل في النقل والجر والركوب والأميركيون بين معجب ومستحقر حتى بدأت الحرب الأهلية فشغلت الناس عن الجمال كما شغلتهم عن غيرها . ثم باعتها الحكومة إلى بعض التجار فاستخدموها في النقل فكان بعضها ينقل الملح من بعض المناجم في نيفادا وجيء ببعضها إلى سلفركنغ بأريزونا لنقل القضة إلى خليج كاليفورنيا .

***

وأخيراً أُطلقت في الجنوب الغربي من أريزونا لتعيش وتتوالد كحيوان البر ونشأت الخرافات حولها ومن هذه الخرافات ما شاع عند بعض الهنود من إن جملاً تمرّد على إلهة الرعد والبرق فضربه جملاً هو المعروف باسم « كَمِل بك » أي سَنام الجمل بظاهر مدينة فينكس . ومنها خرافة شاعت بين الناس إن جملاً كبيراً عليه راكب مشدود إليه بالسيور كان يرى في الليالي المقمرة ، ولكن الراكب كان يتقمص إرْبًا فإرْبًا حتى إذا قبض على الجمل لم يكن عليه غير السيور التي كانت تشد الراكب

وقيل إنها تكاثرت في أريزونا بين « يوما » و « طوصان » وكان بعض المسافرين يرونها أحياناً وكان المكاريون والبقّارة يقتلونها لأن حيواناتهم تجفل منها أو لحماية المرعى وما لم يقتل أو يمت منها أمسك فبيع لحدائق الحيوان . قيل أن آخر ما شوهد منها جملان في جهة كوارتسيت سنة ١٩٠٩ .

والشائع عند أهل أريزونا الآن أن الجمال لم تصلح لهذه البلاد لأن موادها غير رملية كبوادي البلاد العربية بل يكثر فيها الحصى الذي يؤذي إخفاف الابل . وقد نقل بعض الكتّاب ان بعض الجمال التي أرسلت الى بيتادا صنعت لها أحذية من الجلد . ولكن بيل لم يذكر ذلك في تقريره بل امتدح غناها عن البعرة وفضلها على البغال والخيل من هذا القبيل .

أما الجمّالة الذين جيء بهم من الشرق الأدنى فالذين خرجوا من خدمة الحكومة الاميركية في سان أنطونيو كما تقدم ، لم أجد ذكراً لهم في الكتب التي اطلعت عليها . وحوديج الأغريقي قتله مكسيكي في شمال اريزونا خلاف بينهما على لعب الورق على قول ، وانتحر في

نيومكسيكو على قرن آخر . واشتهر بكثافة لحيته . ومن غريب ما روي عنه أن هنديًا رماه بنبلة فلم يكد يخدشه لأن لحيته وقته كالدرع لكثافتها .

***

أما « الحاج علي » فعمر طويلاً ويجلّ ذكره مؤرخو اريزونا ويحسبونه من روّاد الحضارة فيها Pioneer . وقد تضاربت الآراء في أصله فلا يعلم هل كان عربيًا أم تركيًا أم اغريقيًا . حادثت ملفرد وزير مدير مكتبة المشترع في اريزونا وصاحب بحث في الحاج علي فقال لي أن « هاي جلي » كان أبوه عربيًا وأمه سبيّة إغريقية غنمها بعض العرب في الغزو . وكان اسمه الاصلي فيلب تادرو أما اسم هاي جُلّي Hi Jolly فلقب اكتسبه في أميركا وهو تحريف « الحاج علي » .

ولما باعت الحكومة إبلها اشتغل الحاج علي دليلاً للجنود في تعقب الهنود المخلين بالامن ومكاريًا ينقل السلع واللوازم الحربية . ولما خرج من خدمة الحكومة عمد الى البحث عن الذهب في اريزونا وشمال المكسيك ثم مات حتف أنفه في بلدة كوارتسيت القريبة من نهر الكلورادو في الجنوب الغربي من اريزونا في ١٦ ديسمبر من سنة ١٩٠٢

***

وسنة ١٩٣٥ اهتم بعض الموظفين في مصلحة الطرق العمومية لولاية اريزونا بقبر « الحاج علي » فأقاموا فوقه نصبًا تذكاريًا بشكل هرم علوه عشرة أقدام فوقه تمثال جمل من النحاس علوه قدمان . وأودع في الهرم في جملة ما أودع قسم من رماد جمل وأوراق الحاج علي وثلاث قطع من النقد الاميركي قيمتها أربعون سنتًا كانت في جيبه لما توفي .

وعلى وجه الهرم لوح من النحاس فيه : —

« المناخ الاخير للحاج علي . ولد في بعض نواحي سورية حوالي سنة ١٨٢٨ . مات في كوارتسيت ديسمبر ١٦ سنة ١٩٠٢ . جاء هذه البلاد في ١٠ من فبراير سنة ١٨٥٦ . جمال — مكار — وظل أكثر من ثلاثين سنة مساعداً أمينًا لحكومة الولايات المتحدة . مصلحة الطرق العمومية لولاية اريزونا سنة ١٩٣٥ . ودعى هذا النصب في يناير من سنة ١٩٣٦ واشترك في حفلة التدشين حاكم أريزونا ونائب عن حاكم كاليفورنيا

ماسا اريزونا وديع نادر

فصل الخطاب
في الارواح

عاد الأستاذ العلاّمة الروحاني احمد فهمي ابو الخير ينشر على قراء المقتطف درر علمه الواسع في الارواح فضلاً عن العلم الفيزيقي والفلسفي الخ . فملأ ثماني صفحات . ولو وسعه المقتطف لملأه كله من علمه الغزير .

وكنت أقف في هذه المناقشة عند هذا الحد (لأنه عبثٌ أن نتمادى فيها وهو يحاط بطفحات من الأرواح تحجب عنه حقائق الهيولي) ، لو لا أن عنجهيته قذفت قذائف صغيرة لا تؤذي ولكنها تضحك . ومنها قوله : « وهو (أي أنا) يدّعي في جرأة غريبة (كذا) انه اطلع على مؤلفات جينز واينشتين وادنجتون » — حقًّا انها لجرأة .

ومعناه ان مؤلفات هؤلاء الأقطاب العلماء لا يعبها إلاّ الفلاسفة المظهرون من أمثاله. ومن يطلع عليها غيره يكون وقحاً أو جريئاً . وهو يستغرب هذه الجرأة من سواه .

فيا لها من عنجهية جريئة يظهر فيها الاستاذ ابو الخير عبقريته المبدعة وفلسفته البارعة وتشرق منها أنوار علمه الساطعة

ثم يزدأ بلغتي « الفصحى » في كتابي أسماء Jeans و Einstein و Eddington هكذا جينز واينشطين وادينغتون . وكان يجب أن أكتبها كما وردت في معجمات اللغة كتاج العروس ولسان العرب هكذا اينشتين وادنجتون وجينز . فأعتذر لجنابه بأني لم أراجع قواميس لغتنا الفصحى لكي أنقل عنها هذه الأسماء مضبوطة .

ثم استرسل جنابه في نقد كتابي « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » وانسي أن

كتابي هذا ليس موضوع المناقشة وإنما أرواحه موضوعها . ولا بدع أن يناقشا ما دام قصده انتقادي على أي حال ، وهدفه التهكم إذا لم يصب نقطة منقودة في مناقشتي

وكان مما انتقده في كتابي ترجمتي المجال المغنطيسي أو الكهربائي بالجو المغنطيسي . وعندي أن الجو أصح من المجال لأن المفهوم من المجال أنه ذو بعدين طول وعرض ، ولكن الجو ذو ثلاثة أبعاد وهو طول وعرض وعمق وهو الصواب أو الأصوب . ومع ذلك لا مانع عندي من استعمال « المجال » إذا أثبت في قاموس المجمع العلمي المنتظر .

ثم انتقل من نقد كتابي إلى آراء بعض العلماء في « المذهب الآلي » والتلميح إلى انهياره (في لغة أستاذنا الفصحى) . والعلماء متى اصطدموا بمجهولات الكون التي يستحيل أن تعرف كاللانهاية مثلاً أو تعذر عليهم تسيير الصال المادة بالعقل ، جنحوا إلى افتراض ما يتراءى من الصور في عالم المجهول ، لكي يرضوا شهوتهم لمعرفة أسرار الطبيعة .

وتمادى استاذنا في هذا الباب وسرد من أقوال العلماء عدة أشياء ونسي أرواحه .

ان موضوعنا هو الأرواح واستحضارها ! فما لنا والمذهب الآلي والمجال الكهربائي الخ .

***

كاد يقسم جنابه بالأنبياء والرسل اني لم أطلع على شيء من كتب الروحانيين . أجل لم أقرأ سوى كتاب واحد نسيت اسم مؤلفه . فما كان أقوى حجة من الأستاذ أبي الخير . ولكني لم أفهم منه ولا من أستاذنا ما هي الروح . ألا يجب أن نعرّف الشيء الذي نتناقش فيه ؟ أم يريد أن نتلمس الشيء المفروض في ظلام العالم المجهول .

كل ما كتبه أستاذنا لكي يقنعني ويفحمني لم يتسلل الى حظيرته . ولكنه حصرني فيها بإيراد بعض عجائب استحضار الأرواح . وأعجبها وأغربها وأكثرها إدهاشاً حادث طبيب جراح حضرت روحه بعد ١٧ سنة من وفاته بين ثمانية من زملائه الجراحين وعمل في الظلام (لماذا في الظلام ؟) عملية الزائدة الدودية لمريض . ولما انتهى منها أنار الزملاء نور الغرفة ، فاذا المريض مضمد الجراح وقطعة الزائدة موضوعة في الكحول في أناء زجاجي .

وذكر حادثة أخرى مثلها . ثم ذكر حوادث أخرى كلها عجائب وغرائب من هذا القرار .

حقًّا أن هذا الحادث العجيب أي حادث الطبيب الميت الحي ، أعظم مقنع بعالم الأرواح واستحضارها — ولكن هيهات من يصدق .

إذا كنت أنا أصدق هذه القصة وأومن بعالم الأرواح فبالأولى إن أصدق عجائب سنت تراير وسيدة لورد .

ولكن أستاذنا يصدق . ولذلك يطالع كل كتاب وكل مجلة تنشر هذه الأقاصيص العجائبية . ويأخذها أمراً مسلماً به كأنه شاهدها بعينه . فما أحراه بأن يطوف على العجائز ويتسلمهم أخبار عجائب الأولياء والجن وليست المجلات التي تروي قصص الأرواح بأعقل وأصح من أخبار العجائز . وأوجه أستاذنا إلى مجلة باللغة الانكليزية تسمى استرولوجي أي علم التنجيم فهي محشوة بالعجائب التي هو مغرم بها .

***

سمعًا يا أستاذنا . اذا قال العلماء مثل اوليفر لودج وكونان دويل وستيد وفلامريون وغيرهم من أساطين العلماء كما تقول أنت فركوهم العلمي لا يثبت صحة أقوالهم الروحانية . « لكي نصدق نريد أن نرى آية من السماء » .

لا أصدق رواية الطبيب الميت الذي عمل العملية الجراحية بعد ١٧ سنة من وفاته ولو كنت أعرفه حيًّا وشاهدته بعيني رأسي يعمل العملية ، فلا أصدق ما ناقض النواميس الطبيعية . وليس ثمت شيء ما وراء الطبيعة . أكذب نظري لأنه غشني ، ولا أكذب السنة الطبيعية .

***

انتهى كلامي في هذه المناقشة العنيفة . وهنا أترك الكلام المطلق لاستاذنا أبي الخير ليشرح عنه الواسع بقرؤه باسمين .

نقولا الحداد

الفلسفة

والانتخاب الطبيعي

هذا جزء من فصل من كتاب « الالوهية والفكر » تأليف آرثر جيمس إرل أوف بلفور ، الذي ترجمه محرر هذه المجلة وهو الآن تحت الطبع .

- Theism and Thought, Arthur James, Earl of Balfour.

كانت نظرية الانتخاب الطبيعي من الانتصارات العظمى في القرن التاسع عشر. وبالرغم من حقيقة انه في ضوء البحوث التي تلت ذيوعها ، لم تظهر انها قادرة على تحقيق كل ما توقعنا منها، فان ذلك لا يزال مكانتها باعتبارها نقطة تحوّل في التفكير العلمي .

الى هنا وبالقدر الذي يهم من وجهة هذا البحث ، نلحظ نقصاً مستباناً فيه ، بالرغم مما قد تقدر له منه قيمة باعتباره اداة تطورية ذات أثر بيّن ، ظلت عاملة خلال دور زماني قصير نسبيًا . نحن هنا نزن تلك الشبكة العلمية التي تصل معتقدات العصر الحاضر ، أي معتقداتنا جميعاً ، بالمادة والطاقة في حالة توزعهما القديم الأولي — أي كما كانت في العصر السديمي قبل أن تتكوّن الأجرام السماوية . في فترة مجهولة لدينا، وبالطبع فترة غير معروفة، وفي مدى ذلك التطور التطوري ، برز صيار هيّ مجموعة من الخصائص والحالات التي يعرفها العلم في حالته الحاضرة ، وكان من طبيعتها أن تنطوي على الحاجات الضرورية اللازمة لتنشئة صورة ما من صور الحياة العضوية. في الطور الذي قطعه ذلك السيّار مستكملاً العدة لتنشئة الحياة ، لم يكن هنالك من محل للانتخاب ، وكذلك لم يكن للانتخاب من أثر في تهيئة المدرج التالي من مدارج التطور — وأعني به ذلك المدرج الذي شهد بدء الحياة ، وهو أعظم المدارج الانقلابية جميعاً . قبل وقوع ذلك الحادث الانقلابي ، لم يكن لنا من معرفة بما يضاف من جملة الأشياء أو يستخاص منها . ان عوالم لا عداد لها ولدت ثم بادت . ولكن أعظم ما وقع من تكبات وأحداث في عالم الأجرام ، لم يتجاوز حد انه توليف

مُساعداً لما كان موجوداً بالفعل . تثالث التغيرات وحدة إثر أخرى ، على مقاس من العظمة والفخامة قلما يتصوَّر . غير أن عامة هذه التغيرات الفوزيقية ، لم تأت بجديد فيه صفة الاصالة والجوهرية . لم يكن في النتيجة من شيء ، تشكل بصورة أو بأخرى ، لم يسبق له وجود في الجملة . والكون لم يأت بشيء جديد ، اللهم إلا اعادة تنسيق قسمه . ولكن بزوغ الحياة بدأت دورة جديدة . ومهما يكن من أمر ما اعتنق من فكرة ، فلست أدعي هنا ان الحياة ، حتى في أدنى مدارجها ، أكثر من توزع ضروب خاصة من المادة صبَّت في قوالب معينة ، وأن أفعالها وأركاسها [1] جميعاً ، قد تفسر بمقتضى سنن الكيمياء والفوزيقا تفسيراً كاملاً . فعلى أي وجه تقلب هذا الرأي ، فلا شكَّ يساورنا مطلقاً في حقيقة الشعور والفكر والارادة . فان هذه الأشياء كانت دائماً زوائد على مجرد إعادة توليف المادة في صور مّا . وهي فوق ذلك أشياء ، بقدر ما لأرضنا هذه من صفة الحدوث الزماني جديدة — نعم جديدة وانها لباعثة على أشد العجب .

لم يكن للانتخاب الطبيعي من أثر في ابراز هذا المتجه الجديد . كما انه لم يكن له من يد في أن يحدث حدثاً يسير به قُدُماً عند ما بدأت الحياة بالوجود . ولكن عند ما أصبحت تلابس عضويات من طراز ملائم . فعند ما وُجدت ، بطريقة غير محدودة (أ) شرٍ كُتَيبات عضوية معقدة (ب) ليس لها صفة الحياة لا غير (ج) بل تكاثرت (د) وفي تكاثرها استحدثت أعقاباً لها بها ، على اطلاق القول . مشابهة ، ولو أن هذه المشابهة (ه) صحبتها تغيرات (و) متوارثة : قبل أن تقع هذه الأحداث الجسام وتأتلف ، لم يكن في مستطاع الانتخاب الطبيعي أن يعمل وأن يبرز تلك المستحدثات الاحيائية ، التي يحاول البحث العلمي اليوم ، بجهدٍ بالغ ، أن يفصح عن أسرارها المعقدة .

***

من هنا يتضح أن تدخل الانتخاب الطبيعي في السَّوق العلّي للأشياء تدخلاً من شأنه أن يزوّد العقل الانساني ، حتى بما يشاكه أصلاً عقليًّا ، قد بدأ مؤخراً في تاريخ

[1] Actions and Reactions

الكون . ولكن لديَّ شيء آخر أقوله . فان تدخله لا يبدأ بتحقيق هذا الغرض مؤخراً جداً! لا غير ، بل انه ينتهي مبكراً جداً أيضاً . فان أفعاله التأثيرية تموت وتفنى سريعاً ، حتى ليعجز عن الافصاح عما ينبغي الافصاح عنه ، وأعني بذلك الافصاح عن مثاليات الحب والحسن (الجمال) والمعرفة .

بالنسبة لي تظهر هذه المسألة كأنها ثانوية القيمة ، فان تلك الاشياء الباهرة العظيمة ، اذا كانت في غائيتها ، هي من عمل اللاَّعقل ، فانه لا يعنيني إلاَّ قليلاً اذا كان صدورها المباشر راجعاً إلى اللاَّعقل ملابساً صورة من الانتخاب الطبيعي محوَّراً فيما يشبه القصد ، أو أسفرت في صورة مصادفة مكتوفة . ان النتيجة بقدر ما يعنيني واحدة ، ولكنَّ هنالك من يقتبلون قبلة أخرى . هم يطلبون تفسيراً علميًّا . أعطهم هذا ، وهم بعد لا يُعْنَوْنَ بما يكون واقعاً بين العلة والنتيجة من التفكك وعدم الالتئام . ولذا تراهم قانعين راضين ، ما أثبتَّ لهم ان خصائص أية محصِّلة من المحصِّلات التطورية ، تتضمن قيمة بقائية ، وعقتضى نظرتهم هذه تَمَّحي كل القيم الاخرى ، ولا تساوي عندهم دانقاً ولا سحوتاً . يكتفون بأن أسمى وأندر ما في الجمال والاخلاق والفكر ، أشياء لا تفعل للانسان ، إلاَّ ما تفعل الوسائل الخسيسة لأقل كائن طفيلي حقير — بمعنى انها تساعد على الاغتذاء والتكاثر .

***

إن هؤلاء المفكرين لا يعوزهم الافراط في الطمع . ومع هذا فاني أشك في أن مراميهم ، على تواضعها ، قد تحققت في مثل هذه الدنيا التي نعيش فيها . انهم يخطئون اذ يفرضون ان هذه القيم العليا ذات أهمية في التناحر على البقاء . فالقديسون والفلاسفة والفنانون ، لم ينجحوا اطلاقاً ، على قدر علمي ، في أن يتركوا أسَراً كبيرة بأنفسهم . وكذلك هم لم يساعدوا الجمعيات التي فتنت بهم وأخرجتهم الحين بعد الحين ، من أن يبذُّوا كثرةً ونسلاً ، غيرهم من الجمعيات في بقاع أخر من الأرض . وتقتضي قياس الطبيعة للنفعة ، هم لا فائدة منهم . انهم ليسوا من حيث ذلك ، أكثر من نفايات خبيثة في مجمل المحصِّلة التطورية ، ولا يكونون جزءاً من نسيجها الجوهري . انهم ، بناءً على فرضية المادية الطبيعية ، حَدَثٌ اتفاقي ، أنتجه حَدَثٌ مثله .

ليس في الناحية الروحانية للتطور من شيء هو أعجب من هذا . وربما لا يكون عجيباً ان هذه الحركة الاستدراجية التي مضت فيها هذه النشوءات، والتي أدّت الى النجاح الأحيائي، قد تذهب بها إلى آفاق تتحدى فيها كل كفايتها البقائية أو جُلّها . ولكن العجب الحقيقي انه في هذه الآفاق ، أو في بعضها على الأقل ، قد تحوز قيماً أجود وأرفع ، بحيث تعجز المادية الطبيعية عن الافضاح عنها أو تفسر وجودها ببيان . فالديانات البدائية ، بما فيها من الخرافات والأوهام القبيحة . والخلقات والإفراطات ، قد يكون لها قيمة ، تلبس تلك الصورة التي يقرها الانتخاب الطبيعي . وربما تكون قد ساعدت الانسان ، بصور متفرقة ، مساعدة مباشرة في مدارج حضارته الأولى ، ان يحتفظ بعدده ، أو أن يكثر ويزداد . ولا شك مطلقاً في ان هذا يصدق أيضاً على الخُلُقيّات البدائية ، وعلى العلم البدائي . وربما صدق أيضاً على الفن البدائي . لهذا نقول إن الاجيائيين[1] الذين يعالجون علم الأجيال[2] على أنه فرع من علم المواليد[3]، محقون في اعتبار أن هذه الأشياء قد تعود بعض الشيء الى التناحر على البقاء . ولكن التناحر على البقاء ليس له تأثير مباشر على مدارجها النشوئية العليا . فأية قيمة بقائية مثلاً لحب الله كما نباشره في الممارسات الدينية العليا ؟ وأية فائدة تلك التي جناها انسان ما قبل التاريخ من ان كفاياته العقلية وتصوره ، تلك التي نلمح ان بداياتها الدنيا قد رُتّبت بدئياً في أسلافه بعوامل الحرب والجوع والمرض، قد تتحوّر فتنشأ منها تلك الكفايات ، التي هي بعد مرور آلاف من السنين ، سوف تيسر لأخلافه سبيل العمل والنجح ، في تتبع خطا معرفة هي الى التجريد الصرف ، والبعد عن الكسب المباشر ، وهي لأول وهلة معدومة القيمة مادياً ؟ وأي تأثير شامل ، من حيث الاحتفاظ بالنوع ، حدث بنشوء صفة الحب الخيالي الخالص من دنيّات الشهوة الحيوانية ؟ واذا سلمنا بأن الانتخاب الطبيعي قد يكون له أثر في تنشئة العطف العائلي والطاعة القبليّة ، فلأي شيء تزدهر هذه الصفات فتصير رحمة بريئة قوية تشمل في دائرتها كل النوع الانساني ، وهي فوق ذلك ، تخص من يدعون غير الصالحين ، لا الأصلحين، بعطف أكبر وحنان أعظم ؟.

(١) Anthropologists (٢) Anthropology (٣) Natural History

الشمس

قال شوقي أمير الشعراء :

اتخذ مكانك في طلق الهواء يا شمس وانبات وهواء

ولو لم يقل رحمه الله في الحب :

الحياة الحب والحب الحياة . . . . . .

لبلغ بيته هذا الخالد في الشمس حيث كان ينبغي ان يقول :

الحياة الشمس والشمس الحياة . . . . . .

لان « غاية الحياة » لو أشرقت يوماً ، ثم غابت ، ولم تعد لتطلع على الدنيا الى الابد ، لذبل النبت ، وفني الحرث ، ومات الانسان ، وفقد الحيوان ، وأمسى الكون ، كما صنعه الله تعالى ، في اليوم الاول للخلق : أرضاً خربة خالية ، ذات بحر مظلم الظلمات

والكائنات الحية بصلكتيها : النباتية والحيوانية ، تعيش تحت الشمس من وقت مشرق الى ساعة المغيب ، الا الانسان وحده ، فقد حالت المدنية بينه وبين الشمس ، فأمكنته يوماً ظل يعيش فيها عاملا أو لاهياً ، كما انها فرضت عليه ملابس ثقيلة ، تغطي سائر جسده ، فكانت السد المنيع بينه وبين شعاع الحياة

والجسم يولد فيتامين « D » من نفسه اذا تعرض الجلد لاشعة الشمس ، وذلك بتفاعل الاشعة فوق البنفسجية في المادة الدهنية الكائنة تحت الجلد المسماة « Ergosterol » .

وينبغي ان نعلم أن النقص الجزئي لفيتامين « D » من جسمك يسبب لك الامساك ، وفقد النشاط ، والتعب السريع ، وعدم انتفاعك بالاغذية التي يدخل في تركيبها عنصري الكلسيوم والفسفور

وأما نقصه الكلي فيسبب الكساح ، ولين العظام ، وتضخم المفاصل ، والعوج العمود الفقري ، وتأخر النمو

فالشمس ضرورة لحياتك ، وعليك باتباع ما يأتي صيانة لصحتك :

١ — اياك أن تسكن منزلا لا تدخله الشمس

٢ — استقبل الشمس في بيتك في جميع الاوقات ، وافتح لها النوافذ على الدوام

٣ — في حجرة مشمسة من منزلك ، اخلع عنك ملابسك ، وارتد لباس السباحة ، وعرض جسدك لاشعة الشمس لمدة ربع ساعة كل يوم مهما كانت مشاغلك

٤ — ليكن حمامك الشمسي كل يوم في الصباح الباكر أو في وقت المغيب أي عندما تكون أشعة الشمس معتدلة حيث تكثر الاشعة فوق البنفسجية

٥ — ينبغي تعريض جسم الاطفال لاشعة الشمس صباح كل يوم لمدة قصيرة حتى لا يصابوا بالكساح أو لين العظام

٦ — في أيام الصيف لا تسرف في حمام الشمس حتى لا يلوح لونك ، وادهن جلدك بزيت حتى لا تحرقه الاشعة

واعلم ان الشمس هي سر الاسنان السليمة ، والعظام القوية ، والصحة الكاملة ، فحرص صيفاً وشتاء على حمام الشمس كل يوم . فتؤمن ان الشمس هي الحياة ؟

فهمي عطاالله

تقدم العلاج

في أوائل القرن الحالي كان مدرسو الطب لا يعلقون أهمية كبيرة لعلاج مختلف الأمراض ولا يظهرون عظيم ثقة فيما كانوا يصفونه من أدوية ، بعكس ما كانوا يبذلون من عناية في التشخيص الاكلنيكي والاهتمام به . وكان تأثير ذلك على طلبة الطب إذ ذاك، الاعتقاد بأن التشخيص الصحيح هو السبيل الوحيد للعلاج الناجع ، ولكن بخروجهم للحياة العملية صدموا بضد ذلك ، فكثيراً ما فحصوا الأمراض تشخيصاً صحيحاً ولكنهم عجزوا عن علاجها ، ولم يكن أمامهم سوى مواجهة الأعراض لتخفيف ألم المريض بالحد منها تاركين المرض نفسه بدون علاج، وللطبيعة العمل على الشفاء. وبهذا الأمل ينتظرون تقدم حالة المريض بطيئين عن مد يد المساعدة له .

في ذلك الوقت لم يكن هناك سوى أدوية محدودة العدد والأثر، ولم يكن العلاج مبنيًا على أساس ثابت، إذ كان علم الطب التجريبي يخطو خطواته الأولى، وكانت أسباب المرض لا تزال محل البحث والاستقصاء ، فكان مواجهة الأعراض همهم الأساسي فاستعانوا بالمورفين والكوكايين وأملاح البروميد Bromides للحد منها ، كما استعملت السليبلات للروماتزم الحاد ، وبجانبها استعملت أدوية أخرى ثبت فيما بعد تأثيرها الفعلي على مسببات بعض الأمراض ، وان كانت اذ ذاك تستعمل بحكم العادة كمخلفات للقرون الماضية منها الكينين والكينين ، لمرض الملاريا ، وعرق الذهب لمرض الدوسنطاريا الأميبية ، والزئبق وأملاح الأيوديد Iodides الزهري، وذلك قبل أن يكشف عن سبب كل من هذه الأمراض بسنوات .

﴿ اكتشاف أدوية من نوع جديد : الأدوية الحيوية ﴾ قد كان نتيجة البحث عن أسباب الأمراض وجود طائفة جديدة من الأدويه تمتاز عن سابقاتها بأنها مماثلة للجسم نفسه ومن طبيعته لا مواد غريبة عنه ، فكانت مكملة لنقص وظائفه وممرضة لما يعتري أعضاءه من فتور في تأدية عملها . من ذلك استعمال الغدة الدرقية في علاج الأمراض الناتجة

(١) ملخص محاضرة للسير هنري ديل نشرت بالمجلة الطبية البريطانية بعدد شهر اكتوبر سنة ١٩٤٣

عن قصورها ، والانسولين لعلاج البول السكري ، وعلاج الدفتريا بالمصل المضاد لها . هذا النوع من العلاج يؤثر في سبب المرض نفسه ، فيمكن بذلك أن يصفه الطبيب وكله ثقة في النتيجة ، لا كما كان الحال سابقاً ينتظر مساعدة الطبيعة له في شفاء العلة.

بالمضي في هذا البحث أمكن اكتشاف الهرمونات والفيتامينات والامصال المضادة للامراض. وساعد على ذلك تقدم علم الكيمياء الحيوية وغيرها من العلوم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطب. فأحدث ذلك انقلاباً شاملاً في العلاج وأصبح في وسع الطبيب ان يعالج أمراضاً لم يكن لها علاج معروف بنجاح تام، فعولج فقر الدم الخبيث (Pernicious Anæmia) بخلاصة الكبد والكباح بالفيتامين (د) وشجع ذلك على المضي في البحث عن مسببات الأمراض واختبار تأثير المركبات الكيميائية عليها . وكان العالم الالماني الكبير ايرليخ الفاتح لهذا الباب فابتدأ بدراسة مفعول الصبغات على جرثومة الملاريا وخاصة تأثير أزرق الميثيلين (Methylene Blue) عليها. ومع انه أخفق في ايجاد بديل للكينين منها، فإنه كان في عمله هذا المؤسس الأول للكيمياء العلاجية . ومما يستحق الذكر أنه بعد وفاته بسنوات تمكن غيره من استحضار مركبات مماثلة لأزرق الميثيلين ذات تأثير فعّال على جراثيم الملاريا

﴿ الصبغات ومشتقاتها ﴾ على هدى تأثير الصبغات استمرّ ايرليخ في العمل وساعده على ذلك اكتشاف جرثومة مرض النوم . وهذه الجرثومة تمتاز بامكان ملاحظة حركتها خلال قوة مكبرة متوسطة تحت المجهر ، فأمكنه دراسة حياة هذا الحيوان الأولي ، وتأثير مختلف المواد عليه. وبمساعدة تلميذه «شيجاء الياباني لاحظ تأثره بصبغة التريبان الأحمر (Trypan Red) فكان ذلك نقطة ابتداء لعدة اختبارات انتهت بعد سنوات من وفاة ايرليخ؛ ولكن بواسطة أحد تلاميذه النابهين «هرمان رهل» لاكتشاف مركب معقد التكوين عرف باسم الجيرمانين، كان الشافي من مرض النوم

وقد أثبت ايرليخ بأن هذه الصبغات لا تمنع هذه الحيوانات الأولية من الحركة، ولكنها تمنعها من التوالد، فتأثير العلاج عليها وقف نموها ويكون من اليسير على قوى الجسم الطبيعية التغلب على الكميات المحدودة منه الكامنة فيه .

﴿ مركبات الزرنيخ ﴾ في عام ١٩٠٥ اكتشف توماس وآخر في ليفربول مركب زرنيخي عضوي عرف باسم الاتوكسيل ذو تأثير فعال على جرثومة مرض النوم . وقد تمكن ايرليخ فيما بعد من معرفة تركيبه الكيميائي وأثبت أن احتمال هذا المركب الخامي الذرية لآخر ثلاثي الذرية أعظم أثراً ، وبمداومة العمل في هذه المركبات اهتدى وتلميذه «هاتا» الياباني

لاكتشاف السلفرسان قبيل الحرب العالمية الأولى محدثاً انقلاباً في علاج مرض الزهري والأمراض الثالثة المسببة عن الجرثوميات .

﴿ مستحضرات السلفانيلاميد ﴾ باكتشاف المركبات السابقة أمكن علاج الأمراض بالتأثير المباشر على مسبباتها أو بوقف نموها . وكان اهتداء جانكسو لمادة السانثالين أول اكتشاف لمركبات كيماوية تؤثر على الميكروبات بمنع الغذاء عنها Food Blockade . وعلى هذا الأساس اكتشفت مركبات السلفا .

في سنة ١٩٣٢ اكتشف دومج الألماني مادة البرونتوزيل ولاحظ تأثيرها الفعال في علاج الأمراض المسببة عن البكتيريا القيحية عند حقن الثيران بها . وكان هذا الاكتشاف أول حدث من نوعه لعلاج الأمراض المسببة عن البكتيريا كيماويًّا، بعد اكتشاف العلاج الكيمياوي للأمراض المسببة عن الحيوانات الأولية بما يقرب من ربع قرن .

وقد اختبرت هذه المادة بمعرفة عدة أطباء انجلترا وفرنسا واتضح لهم أن التأثير العلاجي لها ليس للمادة كلها، بل لاحتوائها على السلفانيلاميد فيها ، ومن هذا الوقت ابتدأت المعامل في مختلف البلاد من تحضير مختلف مستحضراته ناسبة لكل منها تأثيرها في مختلف الأمراض وكانت الحرب الخالية حائلاً دون مواصلة البحث فيها .

﴿ العلاج بالمواد الفطرية ﴾ في عام ١٩٢٦ لاحظ فلمنج تأثير نوع من الفطريات اسمه (Penicillium Notatum) على البكتيريا القيحية في مزارعها، وتمكن فلوري من عزل المادة الفعالة المفرزة منها والمعروفة الآن باسم البنسلين . وقد لا يمر طويلاً حتى يركب هذا الدواء صناعيًّا أو الجزء الفعال فيه . وتأثير هذه المادة وقف توالد الميكروب لا إماتته.

كل هذه الاكتشافات تمت في مدة وجيزة فاذا علمنا أنه في نهاية الحرب الماضية لم يكن معروفاً لدينا من المرهمات سوى الأدوينالين ، وكانت الفيتامينات لا تزال مجهولة منا . وان معظم هذه الاكتشافات تمت في مدة الهدنة بين الحربين أدركنا التقدم العظيم في العلاج في السنين الأخيرة . ولا يزال العلماء في مختلف أنحاء العالم دائبين على اكتشاف العلاج لمختلف الأمراض التي لا تزال عاجزين عن علاجها حتى ليدهشني ما يمكن أن يقوله محاضر آخر في هذا الموضوع بعد عشر سنوات .

دكتور فريد فلين
المجموعة الصحية بالضبية

مدينة المستقبل

« ان عدد البيوت الصغيرة التي هدمتها الحرب من مساكن العمال سوف تشيدها مرة أخرى ، وسنعرف نحوها من العناية ما لم تلقه من قبل . والغالب ان لندن وليفربول ومنشستر وبرمنجهام هي المدن التي قاست من ويلات الحرب أكثر من غيرها ، ولكنها سوف تقوم ثانية من خلال أطلالها ، أكثر جمالا وأوفر نصيباً من الضروريات الصحية » . ونستون تشرشل : ١٩٤٠

الانسان بطبعه الحضاري ونزعته الاجتماعية من أعداء الخراب . فقد يقع زلزال في أميركا أو في اليابان أو الاناضول ، فيقوّض مدناً أو أجزاء من مدن ويسوّي بها الثرى ، فلا تكاد تهبط وتخيم من فوقها التراب ، حتى يسبق الانسان الى التنقيب في تلك الآثار المدمرة وفي عقله فكرة التجديد في الطراز الذي يشيد على مقتضاه مدينة أجمل نسقاً وأكثر تلاؤماً مع مطلوبات الصحة والسعادة .

على هذا كان الحال عندما هدم الهجوم الجوي الالماني بقنابله الضخمة أجزاء هامة من لندن وكوفنتري وبريستول وغيرها من المدن العظمى في الجزر البريطانية ، فهض الاخصائيون والاطلال ما تزال مسواة بالتراب ، والثرى يتطاير من حولها ، يفتشون في الفحص عن أمثل الطرق في اعادة تشييد هذه المدن ، واعادة تشييدها على أمثل نمط تتطلبه الحياة المدنية من مختلف وجهاتها وبخاصة وجهتها الصناعية .

صرفت الحكومة البريطانية في سبيل ذلك جهداً عظيماً ، فخصصت التعمير وزيراً أخذ يدرس أمثل طريق الى اعادة بناء المدن التي خربتها قنابل الالمان . ولم تبخل بالبذل ولا بالرجال فأذلّت المال في سبيل التعمير ، وعهدت به الى أفذاذ المهندسين أمثال لورد « ريث » ؛ فاستعان باخصائيين انتخبهم من مختلف المدن المهدمة ، لأنهم أعرف بما تتطلب مدنهم من أوجه التجديد . ولم يكن من تلك المدن المهدمة من مدينة أحوج الى التجديد من مدينة لندن ، فندب لها المهندس المعروف « فورشو » Forshaw عضو المعهد الملكي للمهندسين والاستاذ « باتريك ابركرومبي » ، ليصمما خطة جديدة للامبراطورية البريطانية . ولقد بدت هذه المهمة شاقة مضنية أول الأمر . هذا اذا علمنا ان لندن بما تضم ملايين نسمة وفي ما حولها أربع ملايين ، وليست لندن مدينة واحدة ، بل هي عدة مدن متلاصقة ، وانما

فيما بين حرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ قد ضوعفت مساحتها وقطنتها بضعة ملايين أزيد مما كان بها من قبل .

(الصورة رقم ١)

التعمير في انجلترا عقيب الحرب ، وفي غيرها من البلاد الاوربية ، مشكلة من المشكلات الكبيرة . ولقد كان للثورة الصناعية وازديادها في القرن التاسع وتركزها بجوار المدن العظمى ، أثراً جعل هذه المدن خليطاً غير متناسق من المعامل وبيوت السكن والمدارس والمستشفيات الى غير ذلك من المرافق ، فلم يراع توزيعها حاجات الصحة وحاجات المجتمع . فكلف الاخصائيون على تصميم بناء المدن التي حطمتها الحرب تصميماً تراعى فيه هذه الحاجات . والمبدأ الاساسي الذي التزموا به هو عدم تركيز بيوت الصناعة والمعامل وعمائر السكن ومؤسسات العلم وغيرها في أمكنة معينة . فالعمال في المدن الجديدة سوف لا يحتاجون الى السفر كل يوم مسافات شاسعة للوصول الى مقار عملهم ، وكذلك غيرهم من سكان المحال التجارية والموظفين والتلاميذ والطلاب . وقد عمدوا في تحقيق هذا المبدأ الى الاكثار من الطرق ووسائل النقل وسكك الحديد ، واستخدموا في ذلك الانفاق الاخضر وهو زنار أو زنائر (مناطق) تحوط المدن بالبروع والحدائق والمتنزهات ، لتكون كالرئات لجسم المدينة ، وفي جانب كل مدينة عدد من المدينات (المدن الصغيرة) مصممة بحيث تتسع لمن يزيد عن حاجة المدينة الاصلية اتساعاً لتكاثفهم في بقاع محدودة غير قابلة للاتساع .

وهذه الصورة جزء من مدينة بليوت صممه للمهندس الانجليزي الاستاذ سير باركلك ابركرومبي ومساعد باتون واطسون للمهندس المعماري

لم تكن هذه الزيادة وليدة تصميم خاص يلائم الحاجات العصرية ، بل انها زيادة جاءت خبط عشواء ، فكان لها نقائص أهمها الانتقال الاضطراري مسافات شاسعات ليصل ذوو

الأعمال الى أعمالهم ، وليعودوا منها الى بيوتهم ، فكان في ذلك اسراف في الجهد والوقت والمال . حتى لقد دل الاحصاء على أن واحداً في كل عشرة من سكان لندن كان يكسب رزقه من العمل في قلب أهل لندن ذهاباً الى أعمالهم وعودة منها إلى دورهم .

(الصورة رقم ٢)

في هذه الصورة تصميم لمدينة حديثة وضعه مستر توماس شارب وهذا بيانه :

(١) زقاق خضر
(٢) حوض للسباحة
(٣) مدرسة
(٤) مجتمع أهل المدينة ومسرح
(٥) مركز المدينة أو سرتها
(٦) منطقة صناعية
(٧) محطة
(٨) منطقة التوسع الصناعي

أما المنطقة الصناعية وما يليها من فراغ للتوسع في الصناعات فسهلة الاتصال بالمدينة . وهناك فراغ كاف في داخل المدينة وفيما حولها . وشبكة الطرق منظمة بحيث يسهل فيها التنقل مع الاقتصاد في الجهد والوقت

نلحظ مع هذا أن أتباع مدينة لندن قد جاب اليها أنواعاً جديدة من الصناعات لم يكن لها بها من عهد ، وزاد هذا الأمر الى الصعاب التي كان يعانيها سكان لندن ، كما أن نتائج اقتصادية خطيرة قد نشأت عن ذلك . ناهيك بموقف المدن من الناحية الحربية . فقد دل الاحصاء على أن أربعة من كل خمسة أشخاص في بريطانيا يعيشون في المدن . أي ان أربعة

أخماس الناس يعيشون في المدن والخمس في الريف . وهذا أمر جعل الأهلين هدفاً هيناً لقنابل الطائرات .

وعلى ضوء هذه الحقائق عمد خبراء الى القول بأحد من نمو المدن وبخاصة لندن وغيرها من عظام المدن مع عدم تركيز الأحياء الصناعية والمنازل والمعامل في أمكنة معينة ، ودعوا صياحهم بترحيل ٦٠٠،٠٠٠ من السكان الى خارج لندن أي في خارج المنطقة

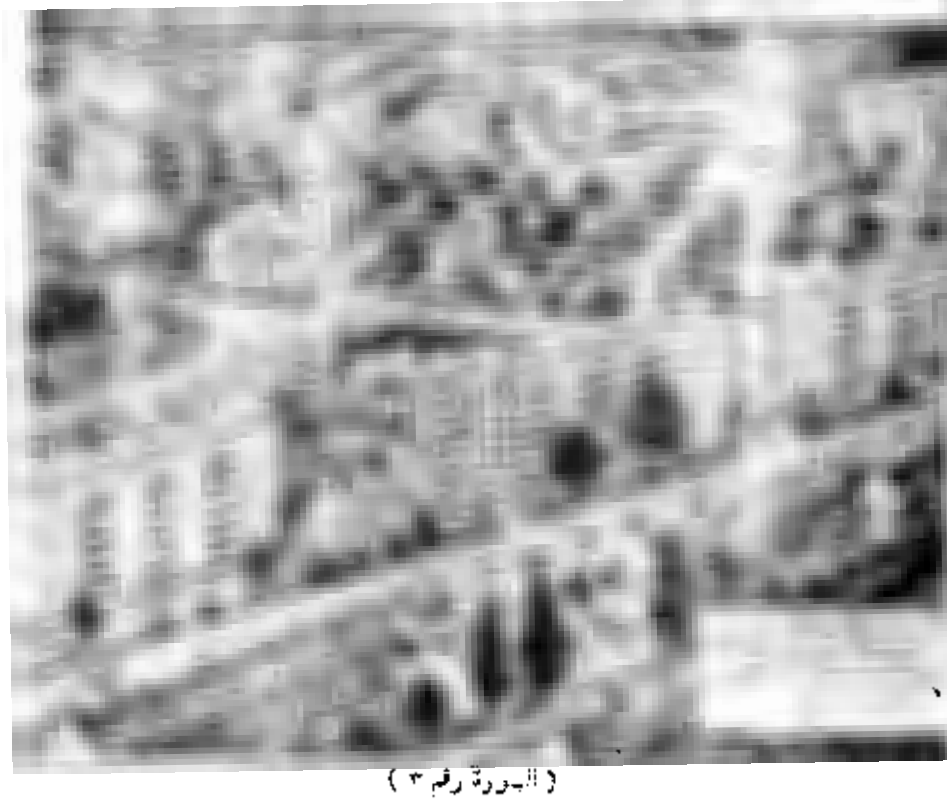

(الصورة رقم ٣)

تبين هذه الصورة الجزء الشرقي من مدينة برمنجهام عند اعادة تعميرها . وفيها فكرة عن تأثير السكن في مخترعات (عمائر باذخة) كل منها مكون من خمسة عشر طابقاً أعدت جميعها بحيث تتسع كل شقة منها لشخص واحد

القديمة ليقيموا في مدائن صغيرة تنشأ من حول المدينة العظمى . وصوفه لا تتسع هذه المدن الحديثة لاكثر من ٥٠،٠٠٠ الى ٦٠،٠٠٠ نسمة ولا تزيد . وبالجري على سياسة نقل هذا العدد من السكان لكل من المدائن التي تنشأ ، ومعهم العدد الكافي من المصانع والمعامل يمكن تفريغ أجزاء من لندن يعاد انشاؤها أخص المبادىء الاساسية التي تتطلبها الحياة الانسانية في العصر الحديث .

ونحن في مصر مقدمون ولا شبهة على عصر صناعي سوف ينشأ معه مشكلات اجتماعية واقتصادية . ذلك بأن صناعات مختلفة سوف تنشأ في المدن ومن حولها ، فاذا لم تتجه من

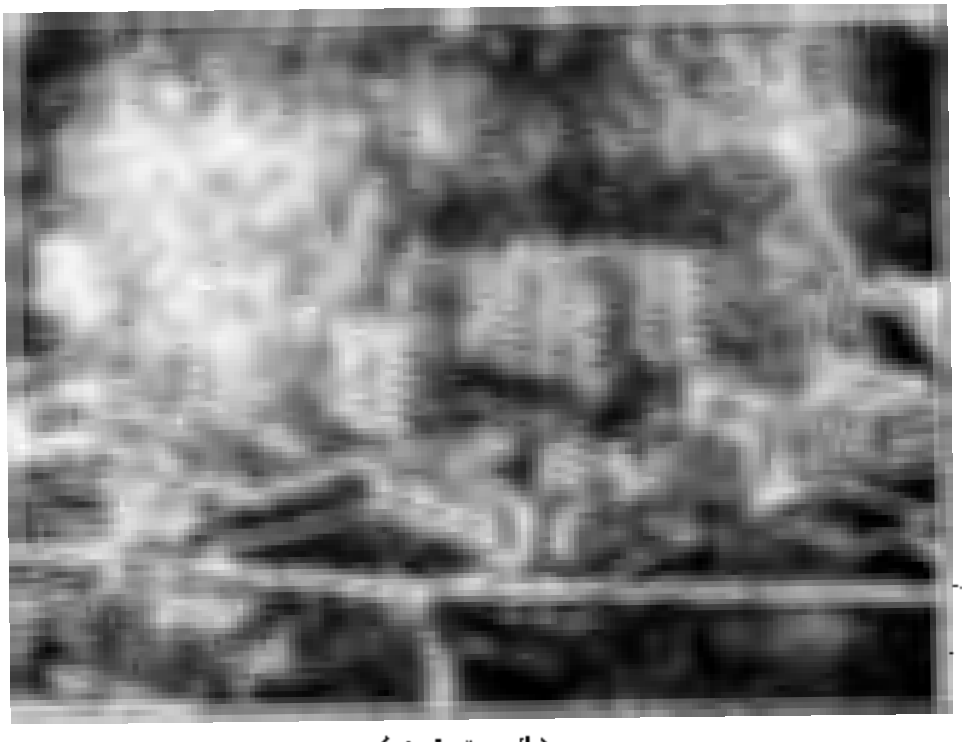

(الصورة رقم ٤)

منذ سنة ١٩١٨ ماثت حركة التعمير في انجلترا حركة التطور الاجتماعي. تنظر المهندسون نظرة جديدة في الطراز الذي ينبغي أن تكون عليه مدينة المستقبل ، بحيث تقوم بكل الضرورات المدنية على اختلاف وجوهها . وقد عرف عن الانجليز أنهم شعب يفضل بطبعه التغير بطريق التطور لا بطريق الثورة والانقلاب . لذلك تراهم وقد بعدوا عن فكرة الزحزحة في تصميم المدن ، وعمدوا الى مراعاة المنفعة والضرورة . ولكن التقليد ضرورتها أيضاً . فروعي في اعادة تعمير المدن الانجليزية لاهل كل منطقة ، فانه من الواضح ان كل تقليد صار عليه الناس انما هو محصل تجارب صادقة .

وتبين هذه الصورة مباني مستشفى الملكة الزبت في مدينة برمنجهام . التي صممها المهندسان الكسندر ولودج ، وبنيا من مستشفيات مرافئ الطاقة وكلية الطب التابعة لجامعة برمنجهام . والمساحة المقامة عليها المباني ١٥٠ فدانا أو حوالي ٦٠ هكتاراً .

الآن الى تنظيمها والعمل على اقامتها بحيث تخفف من وطأة مشكلاتها التي عانت منها مدن أوربا الأخرى، وقعنا فيما يشبه المشكلات التي قامت هنالك، وكانت سبباً في ضياع الكثير من الجهد والمال والزمن .

المخترعات الحربية
في الحياة المدنية

تشمل قائمة معجزات الحرب الحاضرة أشياء شتى لم يكن ليحلم بها امرؤ في زمن ما. وجميعها مستعد بمنافع جمة، في كل طور من أطوار الحياة المدنية، فتحدث انقلاباً في معيشة كل فرد على وجه التقريب، من كساء وغذاء، ومسكن وكماليات، حتى النزهة.

ومن هذه الأشياء، النقاب الذي لا يؤثر فيه الماء؛ إذ يمكن إبقاؤه فيها بضع ساعات، دون تلف، ثم يصلح بعدها للاستعمال. والمطهر الحربي الجديد، وهو مادة مبيدة للجراثيم، ستنتفع بها البيوت والمطاعم. وأصوتها في ذلك، الجيش القائم، حيث تذاب بضع أوراق منها في وعاء يسع ٢٥ جالوناً من الماء فينتج من هذا المزيج محلول مطهر قوي، لتطهير أدوات الطبخ وأواني الأغذية مما يغشاها من جراثيم الأمراض وقاية لصحة روّاد الأندية الحربية الذين يتناولون فيها المآكل والمشارب، وهؤلاء يؤلفون مئات تبلغ كل منها مائتي جندي، وذلك عند تعذر وجود الماء المغلي. وفي الجيوش الأمريكية تستعمل مادة جديدة غير سامة لإبادة الحشرات، لا تؤذي الناس، ولا تحدث التهاباً. وهذه تُرشُّ برشاشة يدوية، يضغط فاز الفريون freon ويكفي رشها في موضع محصور أيّاً كان مدة أربع ثوانٍ لقتل كل ما يحويه من الحشرات. فالصابون الحربي الصالح لكل الأغراض والأجواء حاراً كان الماء أو بارداً أو أجاجاً أو فراتاً، فيصلح لغسل الأيادي والوجوه والاستحمام والحلاقة وغسل الملابس وأجزاء الأجهزة. ثم المادة الشحمية لدهن الجلد وهي تركيب فائق يلائم الأجواء الباردة تدهن بها الأحذية والأشياء الجلدية فتلين، ولا تتشقق ولا تتخللها المياه، أيّاً كانت درجة الحرارة من الهبوط، وحالة الجو من الثقاب.

وكذلك الشمع الواقي النافع، الذي اخترع حديثاً، وهو مؤلف من موم العسل، مخلوطاً بنشارة الخشب، وقد سمي بهذا الاسم لأنه يغني مستعمله عن موقد صغير أو نار ضئيلة، فيستغني به الجنود عن اشعال نيران كبيرة، قد يكون إيقادها خطراً عليهم أو متعذراً

بعد ص ٤٤٤ مجلد ١٠٧

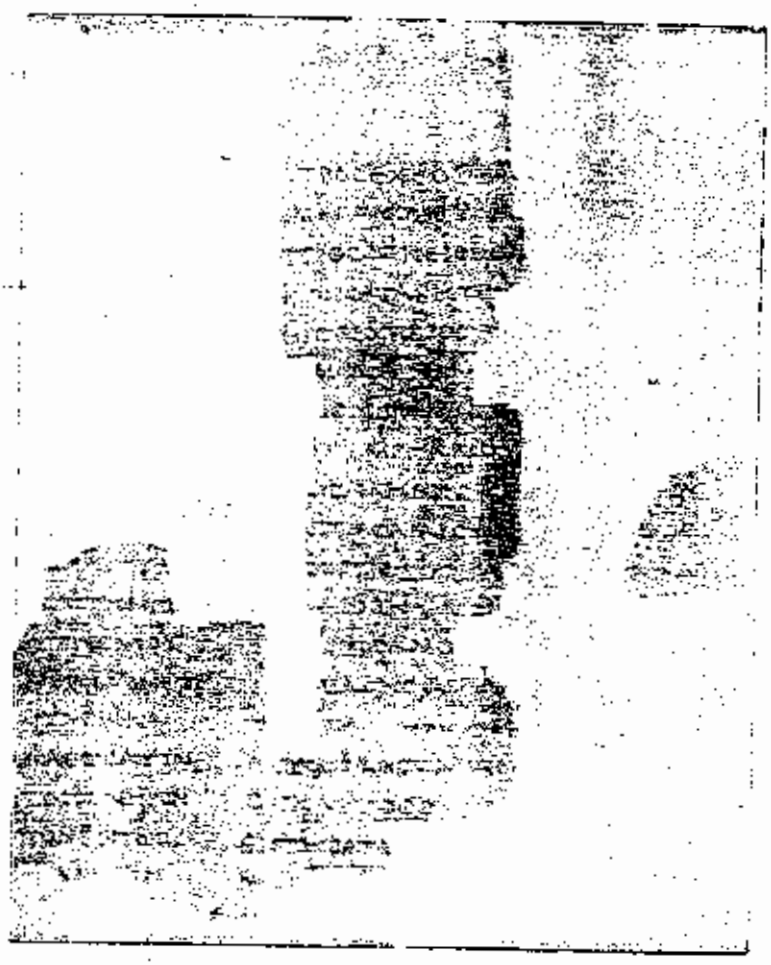

بردي مصري من القرن الثاني ق م. فيه جزء من « التثنية »
من الاصحاح ال٣١ ، الآية ال٢٨ الى الاصحاح ال٣٢ ، الآية ال٧
من « الشيد » موسى ؟

وقد أحدثت بعض تحسينات كبيرة في ملابس القوات المسلحة ، ينتظر تطبيقها في الأدوات والمنسوجات ، عند ما تضع الحرب الراهنة أوزارها ، إذ اخترع نسيج أطلق عليه اسم (الساتين الحربي الحامي الواقي) وهو خامي النسيج ، ويعد أمتن المنسوجات التي عرفت حتى اليوم . ومن هذه المادة سوف تتخذ عقب الحرب ، ملابس للصناع وللاحداث ، كما تصلح للاستعمال في الألعاب ، إذ تروقهم جميعاً .

وما يقال في استحسان هذا النسيج ، يقال منه في النعال المزدوجة في أحذية الجنود إذ ثبت أنها تعيش زمناً يعدل أربعة أمثال مكث النعال العادية . ولا ننسى في هذا المقال ربط الأحذية أي شرطها المتينة التي تصنع من مادة النيلون . والأزرار التي تصنع من العجائن الكيميائية[1] ثم القفافيز المفردة ، التي اذا فقدت فردة منها ، أمكنك ابتياع فردة أخرى تلائم أختها الباقية . والتحسينات التي قامت بها القوات المسلحة في الملابس ، الملائمة للجو البارد ، سيكون لها نتائج بعيدة المدى في الثياب الشتوية . فقد تبين مثلاً أن عدة طبقات خفيفة من القطن والصوف ، تدفىء لابسها دفئاً يفوق ما تحدثه القراء . ويقول صناعها إنهم يدرسون مسألة صنع معاطف للرجال والنساء على الواء من هذه المادة ، لأن المادة والنسيج اللذين يصنع منهما المعطف الحربي والثوب الواقي من تقلبات الرياح أفضل من أي نسيج مألوف لمثل هذه الغاية .

***

ولم تقتصر معاونة الحرب الحالية على انتاج أغذية جديدة فحسب ، مثل الحبوب الجاهزة المطبوخة مع اللبن الحليب والسكر ، وهي التي انما تحتاج الى مزجها بالماء الساخن ، لتعد للاكل ، وكذلك الزبد الذي لا يتخ ولا يذوب . بل ان الحرب قد عجلت نجاح طريقة تجفيف هذه الأقوات ووسعت نطاق تبريدها تبريداً عاجلاً وتكثيفها أيضاً . ولم يكن مستطاعاً قبل نشوبها ، نجاح تجفيف الأغذية واللحوم معاً . فأصبحت هذه المأكولات شائعة الاستعمال في أماكن شتى . ومن البديهي أن تحسينات كثيرة واسعة النطاق ستحدث في وسائل النقل والانتقال جميعها ، على اختلاف أنواعها ، بصفة كون هذه التحسينات نتائج مباشرة للتقدم الذي ثبت في خلال الحرب الراهنة . ومن هذا القبيل أن شركات النقل الجوي أوصت بصنع أساطيل من الطائرات الجديدة ذات المحركات الأربعة خاصة بنقل الركاب والبضائع ، تقطع مسافة تتفاوت في الدقيقة بين أربعة وخمسة أميال . وستكون

(١) راجع مقالنا العلمي — عن العجائن الكيميائية وذلك في متحف يوليو سنة ١٩٤٠ .

حجرها مريحة ملائى بأحواء المضغوط ، ولا يزعج ركابها دوي المحركات .

وصنعت مصانع بوينج الأمريكية ، التي تنتج أذكى القنابل التي من طراز ٢٩ ب وهي المعروفة باسم القلاع الطائرة الجبارة (١) طائرة ضخمة من ذات المحركين تنقل الركاب والبضائع عبر المحيطات ، وذلك على غرار الطائرات الحربية الهائلة المشار إليها . وستستخدمها حالما تنتهي الحرب الحالية . على أن تستمد قوتها من أربعة محركات تعدل قوة كل منها ٣٥٠٠ حصان ، فتستطيع السير بسرعة ٣٥٠ ميلاً مقلة مئة راكب عدا البضائع . وقد أطلق عليها اسم « بتراتو كروزر » أي الطوافة الطخرورية السريعة ، التي ترقى الى أعلى طبقات الجو.

***

أما تأثير المخترعات الحربية في السفر البحري ، فان بعض الخبراء يتوقع انتشار السيارات البرمائية أي التي تصلح للسير في البر والبحر على السواء لخدمة المدنيين ، على غرار السيارات المستعملة منها حالياً في جيوش الدول المتحالفة .

وكان للحرب تأثير محدود في السفائن ، ومن الأمثلة على ذلك أن إحدى الشركات الأمريكية قد أتمت وضع الرسوم اللازمة لصنع عبارة أنهار فخرة للنزهة أطلقت عليها اسم شنانوجا . وتمتاز هذه الباخرة النهرية بطولها البالغ ٢٥٠ قدماً ، وبشكلها المساير للتيار والريح ، وبسعتها الكافية لحمل ٣٠٠ راكب ، ثم باختراعها على الكهاليات . وستسير للتنزه في نهر تنيسي عند ما تضع الحرب أوزارها . وستكون مجهزة بتلفونين يتيح لركابها محادثة من يشاءون من سكان المدن والأماكن الواقعة على شاطىء النهر . وهذا الى جانب الوسائل الأخر المعدة لراحة ركابها ، مما لا تتوافر إلاَّ في عبارات المحيطات من البواخر الكبرى . وسيكون صدرها محتوياً على تجويف يصلح لاستقبال الركاب وسياراتهم فيركبون السفينة وينزلون منها على صقالات تديرها الطاقة الكهربية . وقد حذا أصحاب هذا المشروع حذو الاسطول الأمريكي في تزجيج السفن والدبابات ، بهذه الوسيلة . وسيكون مقر دليل المركب أي مرشده ، مصنوعاً كله من العجائن الكيميائية الشفافة ، على غرار مركز قائد الطائرة الحربية القاذفة للقنابل . وهذا من شأنه جعل ربان السفينة يتمكن من رؤية الأشياء على المدى الكلي لثلاثمائة وستين درجة . وهو أمر يعتبر من العوامل الخطيرة الشأن في سلامة الباخرة .

(١) انظر وصف القلاع الطائرة بقلم كاتب هذا المقال — وذلك في جزء مقتطف أبريل ومايو ١٩٤٥

ثم إن استعمال دوائر القوات المسلحة ، للمباني القولاذية قد أفضى الى ادخال تحسينات جمة اليها ، فجعل مصنع كبير في مدينة ديترويت يعدُّ برنامجاً لرسوم تشبه الأكواخ القولاذية التي يأوى اليها الجنود والبحارة ، ليدخلها المدنيون في مباني مساكنهم ومزارعهم . وذلك لأنها سهلة التركيب متينة ، لا تتأثر بالحرارة أو الرطوبة ، ومن ثمة يتوقع لها العارفون منافع كثيرة في شتى الأغراض . وحينئذٍ يتمتع المولعون بالرياضة البدنية ، بالنعيم الذي ينشدونه في حياتهم ، وخاصة في معداتهم على الأقل . هذا إذا عُني الصناع باتباع التحسينات والأجهزة الحديثة التي تستعملها دوائر الجيش والبحرية بصفة كونها أدوات إضافية . ومنها الخيام الخفيفة التي لا قبل لبعوض على مهاجمتها ، ثم المواقد الصغيرة التي لا يزيد ثقل كل منها على رطل انكليزي واحد ، وهي التي يمكن استعمالها بعض ساعات ، بملئها بالبنزين مرة واحدة . ثم استعمال أقراص الهلزون لتطهير مياه الأنهار والخلجان . ثم استعمال أكياس النوم الجديدة الطراز وعلب الكبريت العوامة .

وكذلك الأكياس التي تستعمل فيها قوارير صغيرة ملأى بمادة روميد الميثيل لتطهير الملابس وأغطية الفرش في نصف ساعة .

***

ولا ننسى شُرط (جمع شريط) الثياب التي تصنع من نسيج النيلون ولا الفُرش التي تتخذ من شعره لأجل بوية الزيت . وهذه تمتاز بكون شعرها لا يبلى سريعاً . وقناني اللبن والصحون التي تتخذ من العجائن الكيميائية ، وهي قلما تكسر . ومن المرجح أنها سوف تصير من الأشياء المألوفة في السوق لأجل المدنيين . وحبال النيلون التي أصغرت تجربتها عن كونها أمتن من حبال القنب سبع مرات وتمتاز عنها بسهولة ربطها وحلها ومقاومتها للاهراء . أضف الى ما تقدم مرده ، المعازف «البيانات» التي هي أخف من سواها بنحو مائة وخمسين رطلاً . وقد اخترعت خاصة للعزف في المعسكرات . ثم الآلات الموسيقية المصنوعة من العجائن الكيميائية ، وهي أخف من غيرها وأرخص وكان أول ما اخترع منها البوق الحربي . أجل إن في بعض الأحيان تحدث صعوبات عنيفة إما كثيرة وإما قليلة في تكييف المنتجات الحربية تكييفاً يلائم المنافع المدنية .

عبد الحميد جندي

تعقيب « على مقال » :

جو جزيرة العرب[1]

للاستاذ البحاثة الدكتور رفيق التميمي العذر حينما يسمي وادي « الحمض » بوادي « الحمث » كما للمرحوم البستاني صاحب « دائرة المعارف » العذر حينما يسمي « ضرَمَى » البلدة المعروفة في نجد — « ذو رَمَى » . إذ تيارُ « التعريب » الجارف ، والثقة بأقوال أولئك « المتعربين » الذين هم سندُ ذينك الجهبذين الفاضلين ، ورواج مؤلفاتهم ، مع قلة « المعاجم » العربية الصرفة المنحصة ، — أمورٌ مبرّرة .

ولي العذر ، حينما أعقب على قول الدكتور التميمي ، بكلمة قصيرة عن « مرابع » صباي ، و « مراتع » قومي ، سندي فيها المشاهدة ، وان كنت مزجى البضاعة في الاطلاع على آراء « المستشرقين ، المتعربين » ، معدومها في علم « الجيولوجيا » .

١ — من أهم أودية « جزيرة العرب » وادٍ عظيم يسمى « العقيق » على كثرة « الاعقة » . له ذكر كثير في الشعر القديم ، وفي كتب التاريخ والأدب ، يمتد من قرب بلدة « الطائف » ويتجه محاذياً للسلسلة الجبلية « الحجاز » فاصلا بينها وبين سهول « نجد » مارًّا « بالمدينة المنورة » من الجهة الشرقية . حتى يعبُ في « البحر الأحمر » ، جنوب « بلدة الوجه » . ويختلف نبات ذلك الوادي باختلاف الأراضي التي يمر بها ، وبقرب منبعه يكثر فيه شجر الرمث والأشجار التي من فصيلته ، و « الرّمث » شجر تحمض بأكله الابل ، اذا أكثرت من رعي العشب وأشجار « الغضاه » . ولذلك يسميه العرب — هو وكل أشجار تلك الفصيلة — « الحمض » . ويسمون جزء ذلك الوادي — لاكله — الذي يكثر فيه ذلك النبات « وادي الحمض » بالضاد المعجمة ، التي اختصت بها « لغة الضاد » . لا بالثاء كما ورد في مقال الأستاذ التميمي . وفي كتاب الدكتور

(١) المقتطف المجلد الثاني من المجلد الخامس بعد المائة ص ١٢٠ يوليو ١٩٤٤

اسرائيل ولفنسون « اليهود في جزيرة العرب » رسم لذلك الوادي يدلُّ على تحقيق ، وسعة اطلاع .

٢ — ومن الأودية العظيمة في « الجزيرة » وادي « الرمة » الذي تنحدر فروعه في الزمن الحاضر — وفي الأزمان السحيقة في القدم ، من الجبال والحرار (جمع حرَّة) الواقعة شرقي «المدينة المنورة» لا شرقي « مكة » كما قال الدكتور التميمي ، وإذا صحَّ قوله انه يتجه نحو الشرق — وذلك صحيح — فهو يصبُّ في « الخليج الفارسي ، وآثار مصبه — قبل أن تحجزه رمال الدهناء — باقية مشاهدة في هذا العهد ، ولا يصب في « بحر عمان » . ولولا أن الدكتور فرَّق بين البحرين فأورد الاسمين قاصداً بذلك التغاير ، لقلنا انه أراد ببحر عمان الخليج الفارسي ، ثم ان « السومريين » — على رأي الدكتور — كانوا يسكنون في جهات ما بين النهرين ، فكيف مدينتاهم « أور » و « أدريدو » بقرب بحر عمان ؟ ! .

مع أن قوله بعد ذلك : ان وادي الدواسر يلتحق بوادي « الرمة » بالقرب من شواطئ خليج البصرة ، مع قوله السابق الذي أشرنا اليه فيهما شيء من التناقض — ان لم يصح أن يقال إنه أراد بحراً واحداً سماه بعدة أسماء ! ! .

٣ — وإذا صح أن مجرى وادي الدواسر « بحذف الياء » كان مجرى لنهر عظيم ، فمن البديهي أن الأثر الباقي في العصر الحاضر للوادي المسمى بهذا الاسم هو أثر مجرى ذلك النهر في الزمن الغابر — واذن فهو يصب في بحر « عمان » — بعد اختراقه السهل الرملي الخالي قبل تكون رماله ، متجهاً الى الجنوب الشرقي ، لا الى الشمال ، اذ سلسلة جبال « طويق » والجبال الواقعة بوسط نجد تحجز بينه وبين الاتجاه الى الشمال والاتصال بوادي الرمة

ومن المسلم به أن علم طبقات الارض وتكوينها « الجيولوجيا » يقرر ان الانهار تكونت بعد الجبال . من الوجهة العامة ، لا في الحالات الاستثنائية . كما انه من المسلم به أيضاً أن ذلك العلم تعتمد أصوله وتبنى نتائجه على المشاهدة ، والاستدلال بالظواهر والتغيرات الارضية الباقية . وحسبي أن أقول ما علمت .

الطائف

عمر بن محمد آل باسر

قاضي ينبع — بغا

الهَمَجي : ج الهَمَج — Barbarian

Etm., F. Barbare Barbaris L. Barbarian = Barbariousness

المعنى العام : (١) أجنبي (٢) من تختلف لغته وعاداته عن لغة المتكلم أو الكاتب وعاداته ، وهذا هو المعنى المستفاد من الكلمة في استعمال العهد الجديد (الانجيل) ويعني أعجمياً .

as : therefore if I know not the meaning of the voice, I shall be unto him that speaketh a barbarian, and that speaketh shall be a barbarian to me I. Cor. xiv. 11

« فان كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجمياً ، والمتكلم أعجمياً عندي »
(رسالة بولس الرسول الاولى الى أهل كورنثوس : إصحاح ١٤ آية ١١

Quot., Stillé, Stud. Med. Hist. 50 : ... It is well known that many of the Roman Emprors were barbarians who had been successful soldiers in the Imperial Army.

في العصرين : اليوناني والروماني : كل من لا ينتمي بنسبه الى الاغارقة ، ويشمل ذلك الرومان . والكلمة في اليونانية barbarikos ، ومن ثم أخذت معنى غير حسن بأن أصبحت تدل على الخصائص والسفالات التي كان الاغارقة أو أعداؤهم متصفون بها ، أما في العصر الروماني فان كل من لم تظله الامبراطورية الرومانية ، أو لم يصطبغ بحضارتها ، اعتبر همجياً ، وبخاصة شعوب أمم الشمال التي خربت الامبراطورية

في عصر النهضة : كل من ليس بايطالي ، أو لم ينتمي الى الايطالية بسبب

في الصين : كل من ليس بصيني ، وبخاصة الاوربيين وأهل أمريكا ، فانهم يعرفون عندهم باسم همج الغرب : Western Barbarians ويعبرون عن ذلك بكلمة خاصة ، ولذا كثر استعمال اللفظ حرم استعماله في المعاهدات المعقدة مع الدول ، كما منع أن يوصف به أحد من رعاياها

هل عرف العرب أميركة ؟ !

نشرت مجلة « المقتطف » في عددها الصادر في شهر فبراير الماضي نص محاضرة للأب الكرملي عنوانها : « عرف العرب أميركا قبل أن يعرفها أبناء الغرب » . وتقوم نظريته على الأمور الآتية : (١) ان العرب كانوا يتقنون الملاحة وفن بناء السفن (٢) اتساع تجارتهم منذ القدم (٣) كلمتان من أصل عربي في اللغات الأجنبية وهما : Alligator لأنها تبدأ بأل ، فهي التماسيح مشتقة من فعل قطر و Caiman ، أصلها قرمان من قرم الشيء بأسنانه

لم يكن التنافس في يوم من الأيام أشد وأعنف مما هو عليه بين أمم الأرض قاطبة . وان هذا التنافس غير مقتصر على الشؤون المادية التي تتعلق بحياة الجماعات وكيانها فقط ، بل تجاوز حتى شمل النواحي المعنوية الصرفة . فباتت قضايا فكرية كثيرة موضع نزاع بين الأفراد تارةً ، وبين الأمم تارةً أخرى . ونحمد الله ، لأن المتنازعين على أمر من الأمور العقلية لا يحملون سلاحاً في كفاحهم غير القلم واللسان ، ولا يخوضون ميداناً غير الطرس. وأضحت كل أمة تتحفز للنهوض ، تسعد وتجاهد غيرها من الأمم بالتقدم من الروح أو العقل أو المادة الذي ساهمت به في بناء صرح المدنية ، لتفوز بأعظم نصيب ممكن من الشهرة والمكانة . وكل أمة تتمنى لو انها استأثرت بوضع كل لبنة من لبنات هذا الصرح حتى يهنأ لها العيش . وبوحي هابط من هذه الفكرة ، يحاول الأب الكرملي أن ينزع اكليل المجد والشهرة عن رأس كولمبس ويضعه على رأس العرب ، بحجة انهم سبقوه الى معرفة البلاد الاميركية .

وقبل المضي في الرد على زعم الكرملي ، أنبه على أمر مهم جداً وهو أنني لا أرمي الى المجادلة والمماحكة . وان كلمة شعوبية ان جاز أن تطلق على كل من يلصق بالعرب تهمة هم بريئون منها ، فانها لا تطلق على من يرغب أن ينسب الى العرب شهرة لا تصمد في وجه النقد النزيه الجريء ، ولا يكون نصيبها في أندية العلم الا الاستخفاف والسخرية . وانني أعتقد أن مراضاة الضمير والحق يجب أن تتقدم على مراضاة العاطفة الثائرة والهوى ، وان القول المأثور « من ليس معنا فهو علينا » قول فاسد لا يؤيده الواقع ولا تبرهن على صحته التجارب.

ويجب أن نقف هنا قليلا لنقول إن العرب الذين يتكلم عنهم الكاتب ويظن انهم

اكتشفوا البلاد الاميركية ، هم سكان شبه الجزيرة العربية . لان البلاد التي ينطق أهلها الضاد في الوقت الحاضر بلدان مستعربة جمعها والعرب الأصلاء مصير سياسي واحد ردحاً من الزمن بعد الاسلام ، ولا يزال يجمعها حتى الآن مصير لغوي وديني واحد . وبعد هذا نبادر الى القول أن العرب لم يعرفوا أميركا قبل أبناء الغرب . وترتكز حجتي على الأسباب الآتية.

ان العرب شعب غير بحار . ويعود السبب في ذلك الى طبيعة أراضيهم الصحراوية وما ولدت في نفوسهم من السلائق البدوية . وما زالت الصحراء منذ أقدم العصور ، ولن تزال ، منافية لكل ثقافة عمرانية ولكل صناعة معقدة تتطلب تفكيراً يعلو على التفكير البدائي . ولما كان لكل بيئة مقومات معينة ، فان هذه الخصائص تؤثر في أعمال الانسان وتوجهه توجيهاً ملائماً لطبيعة الأرض التي يعيش عليها بما تقدم له من وسائل العمل أو تحرمه منها. فالأراضي الصحراوية لا تقدم للانسان الوسائل اللازمة لبناء السفن ، كالأخشاب مثلاً ، التي تؤخذ من الغابات . وأين أماكن الغابات في شبه الجزيرة العربية ؟ وأين المدن التي بناها العرب على شواطىء البحر ، قرب الخلجان الهادئة ، كي تلجأ اليها السفن . وما من شعب يلتفت الى البحر ويراه بدء امكانيات جديدة ، وينفض يده من السعي على سطح الأرض ، الا عندما يتجلى له أن العمل في البر لا يجديه نفعاً . أما العرب الذين اشتهروا بالقناعة في المأكل لقلة خيرات أرضهم ، وبالتقليل من الثياب لدفء اقليمهم ، فكانوا ولا يزالون ، يتدبرون أسباب حياتهم بيسر ، وذلك مما تدره التجارة من الأرباح والحيوانات والشجر والحروب التي لا تنقطع وما تأتي به من الغنائم أحياناً . ويمكننا أن نستكشف حياة العرب القدامى من خلال حياة العرب المعاصرين لأن التطورات التي تمر بالجماعات البشرية لا تؤثر فيهم تأثيراً يستأصل كل سلائقهم الموروثة ويخلقهم خلقاً جديداً . لأن أمواج الحضارة مهما بلغت من الشدة ، تتكسر حدتها قبل أن تغمر فيافي الصحراء . ولأن العرب في وقتنا الحاضر لا يزالون يعيشون فوق البقاع التي أهلت زمناً بأولئك ، ويمارسون نفس الأعمال التي كانوا يمارسونها ، ويتأثرون بطبيعة الاقليم على نحو ما كانوا يتأثرون . فنلاحظ اليوم أن العرب أبعد الناس عن شؤون الملاحة كما أن أكثريتهم الساحقة تقيم في الأماكن النائية عن شواطىء البحار ، لأن فيها متنفساً لهم عن البحر . وينفر العربي من البحر نفوراً يكاد يكون غريزيًّا . وأعتقد أن السبب في ذلك يعود لندرة وجود مجاري المياه الغزيرة في قلب البلاد العربية . ولم يصرف شاعرهم في الاحساس بالخوف من البحر عند ما قال :

خيز أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

ومما يروى بهذا الصدد أن معاوية لما فكر في بناء أسطول يناجز به أسطول الروم في

البحر المتوسط ، عهد بذلك الى سوريين من عكا وصور وطرابلس . ونحن بحاجة الى القول أن هذا الاسطول كان سوريًّا بأخشابه وفنه وملاحيه وبحارته .

وطبيعة العربي لا تلائم الملاحة بل تناقضها ، لا لما يتوهمه في البحر من خطر محدق واتساع لا نهاية له ، وعمق ليس له قرار ، بل إن لطبيعة البلاد التي ولد وعاش عليها يدًّا في ذلك . فمن المعلوم ان البلاد العربية اقليمها صحراوي ، جاف لشدة الحرارة الناشئة عن قلة المياه والأشجار التي تعمل على تلطيف الجو . أما الاقليم البحري فهو شديد الرطوبة لا يوافق مزاجه مطلقاً . ويذكر المؤرخون ان مناخ سوريا ، ولا سيما دمشق ، بما فيه من رطوبة ناشئة عن المياه الغزيرة ، كان يؤثر في أجسام العرب المعوَّدة على الجفاف ، عند ما كانوا يؤمون سوريا في العهد الاموي ، فيحدث فيها بثوراً ودماميل حتى أصبح عندهم من الأمثال التي تتناقلها الألسن « دماميل الشام وطواعين الجزيرة » . وكان الجند ، حتى أواسط العهد الاموي ، وقد مضى عليهم زمن ليس بيسير في الكنات القائمة في المدن ، اذا ما أراد القائد مكافأتهم على عمل مستحسن ، سألوه الاذن بالرجوع الى باديتهم . وان امرأة معاوية لم تكتم حنينها الى البادية على الرغم من حياتها الغارقة في الرخاء والهناء في بلاط العاهل الأموي في دمشق فأنشدت تلك الأبيات المشهورة : « وبيت تخفق الأرياح فيه ... » الى آخر القصيدة

فاذا كانت أجسام العرب لم تقوَ على تحمل مناخ سوريا ، وهو جاف نسبيًّا ، فكيف تستطيع أن تتحمل رطوبة البحار والريح الباردة التي تهب من ناحية القطب الشمالي ؟ ! وهل يطيق هؤلاء أن يقضوا أياماً وشهوراً لا يرون خلالها إلاَّ الماء والسماء ؟ وهل يعقل أن تظل سفن شراعية في حالة بدائية الصنعة ، تذهب بها الريح كل مذهب ، أن تظل سائرة في منطقة جولف ستريم الدافئة مسافة ثلاثة آلاف ميل أو تزيد ؟ ومن المشهور في دوائر العلم ان هذا التيار الدافئ ظلَّ مجهولاً لدى البحارة حتى عام ١٥١٣ حيث استرعى أنتباه بحار اسباني .

وهناك مشكلة أخرى تواجهنا ولا نستطيع أن نميل عنها : في أي الموانئ كانت ترسو تلك السفن العربية ، وفي أي البحار تسير ؟ هل تقع هذه الثغور على شاطئ بحر الروم أو البحر الاحمر أو الخليج الفارسي ؟ . ومن الثابت تاريخيًّا ان هواطئ بحر الروم ، عا في ذلك مصر وسوريا ، كانت قبل الفتح العربي مأهولة بأقوام ليسوا عرباً ولا مستعربين . وأين نقاط الارتكاز التي أنشأها العرب ليلجئوا اليها كلما هبت عليهم العواصف أو ليفرغوا ما ينقلون من بضاعة ويأخذوا ما تراكم في عنابرهم من خيرات تلك البلاد على نحو ما كان يفعل السوريون القدماء ، أي الفينيقيون .

وفي الحقيقة اننا نظلم العرب وكل الشعوب القديمة اذا ما أردنا مقارنة عبقريتها البحرية

بعبقرية الفينيقيين . فهؤلاء أسسوا أول أمبراطورية بحرية في العالم القديم، واتخذوا الأهبة التامة والعدة الكاملة لهذا العمل الخطير. فبنوا مدنهم على شواطىء البحار وأنشأوا سلسلة من المراكز على شاطىء المتوسط وجزره . فكانوا لا يكادون يودعون نقطة ارتكاز حتى تطل عليهم أخرى . ما أشبه هذه المراكز بوكالات لشركة عظيمة تتولى بيع ما تحمله السفن الفينيقية وجمع الخيرات التي تنتجها البلاد . وبالرغم من نشاطهم ومهارتهم وتفوقهم في فن الملاحة واستخفافهم بالمتاعب واستهتارهم بالخطر والموت ، لم يفكروا في أحد الأيام أن يجعلوا مركز نشاطهم خارج حوض المتوسط . ولم يذكر المؤرخون إلا محاولة حاولها «حنّون» القرطاجي حول الشاطىء الافريقي ، ويرجحون انهم بلغوا بحر البلطيق.

ومن الغريب ان كتب السير العربية لا تتحدث مطلقاً عن الرحلات البحرية التي قام بها جماعة من العرب القدامى ولا تذكر شيئاً عن تلك الأساطيل . حقاً ، ان العرب كانوا يملكون أسطولاً عظيماً ، وحداته الإبل ، ويقومون برحلات جبارة لكنها على سطح اليابسة عبر الصحاري . وليس في ذلك غضاضة على العرب . فاذا كان قدّر لغيرهم أن يذللوا الأطلسي وغيره من البحار ، فانهم قد ذللوا الصحاري الشاسعة القاحلة ، وكانت قوافلهم لا تنفك تجوب البلاد من قلب الصين والهند شرقاً حتى بلاد الروم غرباً . وان الأفاويه والمجوهرات والحرائر التي بلغت أوروبا وحفرت كولنبس للذهاب الى الهند، قد نقلتها قوافل عربية . بهذا فليعلم العرب . أما ان تناهي باكتشاف لم ينهض أي دليل على صحته، ولم يحدث أثراً ما في حياة البشر وتنقص من رائد جبار أوجد عالماً جديداً، فهذا ما لا يقره وجدان، ولا يجيزه عقل يحسن التقدير والتمحيص.

ومن المعلوم أن كولنبس لما بدأ يتأهب لرحلته تلك ، لم يكن يقصد بلاداً نائية كائنة وراء المحيط ، لا اسم لها ، بلغها في القرون الخالية نفر من العرب أو النورمنديين أو غيرهم من الشعوب ، بل كان يقصد بلاداً حقيقية معينة ، تذوّق خيراتها وعرف الشيء الكثير عنها، وتواترت الروايات عن غرائبها وكنوزها . أما العرب الذين غادروا شواطىء أوروبا الغربية ، منذين السير عبر الأطلسي ، فاذا كانوا ينشدون من وراء هذه المغامرة وأيّ البلاد كانوا يقصدون ؟ هل كانوا يسيرون على هدًى ؟ هل حملوا معهم زاداً يكفيهم مؤونة طريق يعرفون أين تبدأ لكنهم يجهلون أين تنتهي ومتى تنتهي ؟ واننا لا نسأل الآن عن السنة التي عرف العرب فيها أميركة، بل نسأله عن القرن الذي بلغوا به شواطىء ذلك العالم المجهول، وهل كان ذلك قبل الميلاد أم بعده ؟ ! .

واننا الآن نودع الحقبة التي تقدمت ظهور الاسلام حيث لم يكن للعرب نفوذ سياسي

مرموق يتجاوز تخوم الجزيرة العربية ولا دولة مرهوبة الجانب ، ونقفز الى ما بعد الاسلام ونتكلم عن التجارة في زمن الدولة الاسلامية التي كانت تمتد من تخوم الصين حتى الأطلسي . وهذه الفترة من الزمن هي الفترة المثلى للملاحة العربي أن يعمل ويتجر ويكتشف . ولا يجوز أن نقارن بين قوة الدولة الاسلامية وقوة القبائل العربية قبل أن يجمعها الاسلام .

الدكتور قسطنطين زريق ، أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية ، بحث قيم عن التجارة الاسلامية أقتطف منه ما يتعلق بخطوط المواصلات البحرية والبرية . إن أهم الموانىء في زمن الدولة الاسلامية على الخليج الفارسي هي : البصرة ، الأبلة ، سيراف ، مسقط . منها تخرج السفن الصينية والمراكب العربية ، وعبر مضيق هرمز ، فالقسم الغربي من الهند ، فالساحل الجنوبي المعروف ببلاد الملبار ، فمضيق سرنديب ، فجزر الهند الشرقية ، فالقفو على شواطىء الصين . ويرجح أنهم بلغوا اليابان أو شبه جزيرة كوريا . وهناك طريق فرعية كانت تدور حول بلاد العرب فتمر بموانىء ظفار فعدن فجدة فعيذاب على الشاطىء المصري . وأحياناً كانت تقلع بعض القوافل من عدن فزيلع على شاطىء الحبشة ، فمشكر التي كانت تعرف عند العرب بجزيرة الواقواق . ويستطيع القارىء أن يلاحظ أن هذه السفن في سيرها كانت تسير محاذية الشاطىء ، تحاذر أن تبتعد عن البر خوفاً من الضلال الذي ينتهي بالموت غالباً . هذه هي الطرق الرئيسية للتجارة الاسلامية ، فهل لا يزال الأب مصراً على قوله ان العرب بلغوا أميركا عن طريق اوربا ، بعد ما عرفنا المدى الذي بلغته هذه السفن في أعظم رحلاتها ، وذكرنا الشواهد والأدلة التي تدحض هذا الزعم ؟

ولا بدّ من الملامة وجيزة ، اتماماً للفائدة ، بالتجارة البرية عند العرب قبل الاسلام وبعده

ان التجارة أشرف حرفة في نظر العربي . فيقول استرابون الجغرافي اليوناني « العرب جميعهم أهل تجارة » ويتداول أهل مكة قبل الاسلام هذا القول المأثور « من لم يكن تاجراً فليس بشيء » . وكانت التجارة العربية تجري بين المدن الآتية : مكة ، تدمر ، البراء ، سبأ ، وكان لقريش رحلتان احداهما لليمن والأخرى للشام . أما في زمن الدولة الاسلامية فقد طالت هذه الخطوط التجارية وتفرعت حتى عمت سائر الأقطار التي دانت لحكم العرب . فأصبح بمكنة القوافل أن تتنقل آمنة من حدود الصين حتى بلاد الروم . وذكر الدكتور زريق في بحثه حديثاً ورد في كتاب « حديقة الورد » للشاعر الفارسي سعدي : « كنت أعرف تاجراً له قافلة كبيرة من الجمال وحاشية من المماليك والخدام ، أضافني ذات ليلة في منزله في جزيرة كيش ، وظل طول الليل يتكلم عن تجارته وأعماله الى أن قال : يا سعدي اني أرغب في القيام بسفرة تجارية أخيرة أتمها واعتزل التجارة . قلت : وما هي هذه السفرة ؟ قال : أحمل كبريت

فارس الى الصين وأجلب بخار الصين الى بلاد الروم ، فأستبدل به هناك أقمشة حريرية وأنقلها من بلاد الروم الى الهند ، وأعود بفولاذ الهند الى حلب ، فأحمل زجاج حلب الى اليمن ، وأرجع أخيراً بثياب اليمن الى فارس . فاذا وصلت الى وطني بسلام ، اعتزلت التجارة الأجنبية والأسفار البعيدة » اه . وهناك طرق برية أخرى تسير وتتفرع عبر افريقيا وهي : (١) الطريق الشمالية ، تسير من مصر ، فالمغرب ، فالأندلس . (٢) الطريق الشرقية ، من مصر ، الى النوبة ، فبلاد الحبشة . (٣) الطريق الغربية من النوب عبر الصحراء الكبرى فبلاد النيجر .

نستنتج مما سلف ان التجارة الاسلامية ابان ازدهارها اتخذت سوقاً لها قارتي آسيا وأفريقيا والقسم الشرقي من أوروبا الذي يتاخم البلاد الاسلامية ، وأن التجارة البحرية بلغت ذروة نشاطها على شواطىء الهند وجزء من الصين والشاطىء الافريقي .

أما الاستدلال اللغوي من لفظتين أو أكثر تشبهان ألفاظاً عربية فحجة ضعيفة غاية الضعف . من المؤكد ان العرب لا يعرفون التمساح معرفة حقيقية لأن الأنهار معدومة في شبه الجزيرة العربية . ولماذا أطلق العرب على هذا الحيوان اسم التمساح ولم يطلقوا عليه إحدى هاتين اللفظتين القاطور أو قرمان ؟ فهل خصوها بالأجانب وخصوا لفظة التمساح ؟[1] . ومن المعلوم ان الدخيل على بلاد جديدة لا يطلق على ما يرى مما ليس له به عهد أسماء من عنده . بل يدعوها بالأسماء التي يسمعها من أفواه سكان تلك البلاد . فالأجانب الذين يفدون الى بلادنا ويشاهدون أشياء لا مثيل لها في بلادهم من مأكل أو مشرب أو ملبس أو أثاث ، لا يخطر لهم أن يرتجلوا أسماء جديدة بل يلفظونها كما اعتاد السوري أن يلفظها بلسانه العربي . فالعباءة والبرنس والطربوش والديوان والقهوة والبرغل والكبة ، تسربت الى آدابهم بلفظها العربي . فكيف تسنى للعرب أن يقفوا موقف الأستاذ بين هنود أميركة ويقولوا لهم : « انكم لا تعرفون شيئاً ، ان هذا الحيوان لا يسمى كذا ، بل انه يدعى بالقاطور أو القرمان ! ! »

أما ان كل كلمة قد اعتمرت بالألف واللام أصبحت عربية الأصل ، فهذا ليس بصحيح . لأن في الفرنسية مثلاً كلمات كثيرة تبدأ بأل ويستحيل أن تكون عربية الأصل . وأن هناك كلمات عربية لا تحصى تسربت الى اللغات الأجنبية لما استبحرت الدولة العربية ، ولا تزال تستعمل كتابةً ولفظاً دون أن تدخلها أل . وعلى سبيل المثال نذكر هذه الكلمات : amiral (أمير البحر) ، azur (أزرق) ، cime (كيمياء) ، magasin (مخزن) ، table (حبل) ، (بارجة) barge وما دام هذا الاتصال قد تم بين البحارة العرب وسكان أميركة الأصليين فاذا

(١) تمساح العربية أصلها من المصرية القديمة « امساح » : المقتطف .

استطاع العرب أن يقتبسوا عنهم من لغة أو صناعة أو غير ذلك من مظاهر الحياة ؟ لأن الشعوب لدى احتكاكها ببعضها ، سواء عن طريق التجارة أو الحرب أو الجوار ، لابدَّ من حصول اقتباس متبادل من جانب الطرفين في شئون شتى لا يقتصر على بعض الكلمات ، بل كثيراً ما يؤدي الى اقتباس من صناعات وفنون وأنظمة حكم وطرق معيشته، كما حصل أثناء الحروب الصليبية بين الافرنج والسوريين، وكما يحصل كلما جرى اختلاط . فقد تعلَّم كثيرون منهم اللغة العربية وذلك لكي يتمكنوا من التعامل مع السوريين في المتاجرة، والتفاهم معهم في كثير من المناسبات . كما أن بعض السوريين اقتبسوا لغات أجنبية . وقد أتاحت هذه الحرب للافرنج أن يحذقوا بعض الصناعات السورية كصناعة الكرّ والورق وتربية دود القز والاقمشة والأصباغ ...

وان اتساع التجارة وازدهارها عند العرب قبل الاسلام ، أتاح لهم أن يقتبسوا مفردات كثيرة من الشعوب التي اختلطوا بها كالنبط والاحباش والفرس والسريان والروم ، وعربوا هذه الالفاظ ونطقوا بها نطقاً خلع عنها سحنتها وأكسبها لهجة عربية صرفة . ولا بدَّ من أن تكون هذه الشعوب التي ذكرناها قد أخذت الكثير من الالفاظ العربية . وأرى أن وجود ألفاظ من أصل أجنبي في صلب اللغة العربية ، دليل على حيوية الشعب العربي ونشاطه . انه دليل على ان ذلك الشعب لم يعش منكمشاً في بقعة منعزلة عن المعمور بل كسر النطاق التي ضربته حوله الحواجز الطبيعية وخرج من عزلته وانه لم يعش منفرداً لا يعرف العالم ولا العالم يعرفه. واذا كان قدّر للعرب أن يبلغوا أمريكا، فلماذا لم نرَ في لغتنا كلمة واحدة تعود في أصلها الى أصل أمريكي ؟ ولماذا لم يجد الروّاد الأولون الذين ارتادوا تلك الاصقاع شيئاً ينسب الى العرب ؟ بينما نرى الملاّحة الفينيقيين تركوا لسكان حوض البحر المتوسط ثروة لا تُقدَّم ولا تُدبَّر : هي الابجدية . هذا عدا التماثيل الكثيرة المصنوعة من الخشب والعاج أو الحجر والآنية الفخارية أو المعدنية . فكانوا بمثابة قنطرة تصل الشرق بالغرب .

وأثبتت المباحث أن ما من أحد من شعوب العالم العربي قدر له أن يدخل أمريكا قبل منتصف القرن التاسع عشر . فيذكر الدكتور فيليب حتّي انه عثر على كتاب يصف رحلة شاب سوري اسمه انطونيوس الشملاني دخل الولايات المتحدة عام ١٨٥٤ وتوفي عام ١٨٥٦ وقد أقام له أصدقاؤه الأمريكيون نصباً من الرخام كتبوا عليه تحت اسمه «ولد في جوار بيروت (سوريا) في ٢٢ اغسطس ١٨٢٧ وتوفي في نيويورك ٢٢ اغسطس ١٨٥٦ م . فيكون هذا الشاب أول مهاجر سوري الى أمريكا الشمالية . ولا يبعد أن يكون أول مهاجر من بلاد عربية وطىء أرض القارة الأمريكية . مايتا (سوريا) الياس يعقوب

النقابة والنقابية

Syndicate and Syndicalism.

النقابة (١) جماعة من أصحاب رءوس الأموال أو رجال المالية، يؤلفون وحدة غرضها القيام بمشروع يحتاج الى مال كثير أو موارد عظيمة ، حتى يخرج الى حيز الفعل ، وبخاصة مشروع يرمي الى السيطرة على سوق حاجة من الحاجيات . (٢) بمعنى أوسع : هي طائفة من الناس تتألف للقيام بعمل ما والتوسع فيه ، وبخاصة جماعة غرضها السيطرة على سوق بعض البضائع بأن يستولوا عليها ثم يقومون بالاعلان عنها اعلاناً واسع النطاق، أو السيطرة على مجموعة من الصحف.

(من نقائص هذا النظام ومخاطره الكبرى في المجتمع قوته على الاحتكار وأثره في الترويج . فان نقابة من نقابات الصحف تستطيع أن تخلق من أي كاتب أو مؤلف شخصية عالمية في يوم وليلة ، من غير تقدير حقيقي للقيم والمقاييس العلمية أو الأدبية) ، ونقتل هنا شاهداً نشرته صحيفة « الرأي العام الأميركية (١٦ من فبراير : ١٨٨٩) .

What are called newspaper Syndicates are rapidly extending their field of action. By establishment of offices not only in America, but at Paris, Berlin, Vienna ... they are able at one stroke to confer world-wide fame on any author whose work is at their disposal.

النقابية : (١) حركة قام بها عمال الصناعات ، والغرض منها أن ينقلوا ملكية عُدَدِ الانتاج والتوزيع ووسائلهما من أيدي أصحابها الى اتحادات العمال ، حتى يعود النفع المادي برمته على العمال وحدهم ، مترسلين الى ذلك بالاضراب العام . وقد أصبحت قوة النقابة من عوامل القلق في النظام الاجتماعي القائم على الرأسمالية . ونستند الى شاهد ننقله عن البحاثة J. R. Hartley الانجليزي نشره سنة ١٩١٢ ، أفضى فيه بأن النقابية قد تتقنع تحت اسم « الاتحادية الصناعية » فالقطان عنده بمدلول واحد :

Syndicalism, open or barefaced under the name of industrial unionism, is of the ancestral influences in the world of works.

(٢) مذهب اشتراكي وضعه رجال النقابات الفرنسية او اتحادات التجارة ، والاسم الفرنسي Syndicalisme لم يدل أول الأمر على غير معنى الاتحاد التجاري ، ولا يزال هذا المعنى المحدود من دلالات هذا اللفظ الى اليوم . وكانت الفكرة النقابية قبل الحرب العظمى الأولى ، ذات أثر بالغ في نظام الاجتماع ، ولكنها اندمجت بعد في مذهب الحزب الشيوعي وما عداه من المذاهب والجمعيات. والاصطلاح إما أن يدل على مذهب أو نظرية ذات غرض تنظيمي ، وإما على الأسلوب الذي يلجأ اليه النقابيون تحقيقاً لمنالبهم . والمذهب النقابي دون كل المذاهب الأخرى المماثلة له يمت بصلة الى طبقة العامة Proletaria ، فهو كما وصفه بعض الكتاب « اشتراكية طبقة العمال » Le Socialisme Ouvrier على العكس من ضروب الاشتراكية الأخرى التي يبشر بها أصحاب الطبقة الوسطى أي المفكرون Intellectuals : والنقابي Syndicalist ، هو من يقول بالنقابية .

الزجاج

في الصناعة الحديثة

أصبح للزجاج منافع جديدة استمدتها الصناعة من عدم قابليته للالتهاب أو التلف وقدرته على عزل الحرارة والكهرباء والوقاية من الحشرات الضارة . فهناك الآجر الزجاجي الذي يستعمل في البناء والصوف الزجاجي الذي يفي من الصوت والشريط الزجاجي العازل والأجهزة المصنوعة من مواد زجاجية .

الزجاج مادة ذات ماضٍ طويل ومستقبل مملوء بالمنافع والتجارب . فانك تستطيع الآن أن تنشر الزجاج كما ينشر الخشب ، وان تطويه كما يطوى الصوف ، وان تنسجه كما ينسج الحرير ، وهو يستعمل في خياطة الجروح ورؤية السمك في قاع البحر . والزجاج الآن من القوة بحيث يوضع على الجليد ، ثم يحتم بالرصاص المصهور ، دون ان يتشقق ، وذلك نتيجة البحوث التي يقوم بها العلماء ، وخاصة في بريطانيا حيث لأبحاث الزجاج مقام خاص . وتصنع منه الألواح العملية المسطحة والثفران والنظارات الشمسية غير القابلة للكسر ، والتي تفوق ما كان مستعملاً منذ سنوات قليلة .

منذ ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام امتزج حامض باحدى المواد المضادة للحوامض ، فنتج الزجاج الذي بفضله استطاع الناس أن يروا ما هو خارج منازلهم ، وان ينظروا الى الجبال الموجودة في القمر ، وأن يشاهدوا الحياة المكتظة بجراثيم البكتريا . ومنذ ذلك الوقت استمر البحّاثة في التجربة على هذه المادة التي تعتبر أقدم المواد الصناعية في العالم ، حتى استطاعوا أن يبنوا المنازل من الزجاج وان يلبسوا الملابس المصنوعة من مواد زجاجية .

وفي بريطانيا تنسج هذه المواد الزجاجية من خيوط الزجاج الرفيعة . وأوقية واحدة من الزجاج تخرج ٤٫٣ كيلو متراً من الخيط وهو في خمس سمك شعرة من شعر الانسان . ولكنه بالرغم من ذلك أقوى من الصلب وغير قابل للالتهاب أو التلف أو التأثر بالحشرات الضارة ، فضلاً عن أنه أحسن عازل للحرارة والكهرباء .

وهناك مادة زجاجية تشبه الحرير تستعمل في عمل الستائر والأثاث فهي لا تحترق

وقد استعملت فعلاً في عمل أربطة الرتبة ولوازم العرس بما فيها من قبعات وأحذية، وكذلك ملاقع الاطفال نظراً لنعومتها ، ولنظافة ملمسها . واذا مزج الزجاج بالحجين استطعنا أن نعمل منه ملابس الرقص ، التي تعكس النور في المراقص وتتلألأ كالفضة فوق أرضية ناصعة البياض . وحديثاً توصل البحّاث في انجلترا الى حل مشكلة صبغ الألياف الزجاجية .

تبين هذه الصورة شريطاً طائراً وخيوطاً وعروقاً مصنوعة من الزجاج ، يستخرج من كل منها ما يبلغ طوله ١٦١ كيلو متراً من الخيوط . ويوضع كل عرق زجاجي في لون خاص من تحته شريط مشابه من البلاستن ، ومن داخله تمتد خيوطات حيوية من زجاج الذئاب . ثم تنتج الخيوط الزجاجية بعد ذلك معاملة خيوط القطن أو الصوف فتنسج أقمشة ناعمة

ويجب ان يكون الزجاج الذي يستعمل في عمل الخيوط من نوع جيد جداً . فتذاب المواد الخام الاساسية اللازمة لعمل عروق الزجاج الزخامية ، ثم تعاد اذابتها بعد ان تبرد ، ثم تصنع خيوطاً . وينتج كل عرق منها ١٦١ كيلو متراً من الخيط .

ولهذه العروق الزجاجية فوائد أخرى كثيرة . منها أن صوف الزجاج يصنع من خيوط زجاجية مضغوطة في غرفات منتظمة التعريب ، ثم تدلى في الهواء مكونة طبقة زبدية من الزجاج الحريري تشبه الصوف او القطن شبهاً كبيراً . ويمكن وضع الصوف الزجاجي بين الحوائط والسقوف بحيث يكون عازلاً يحفظ رطوبة المنازل صيفاً ودفئها شتاء . فانه لا يوصل

منظر خارجي لبناء جديد أنشأته شركة اخوان دوجن» مكتباً لها في «تورني بانك» على بعد من غلاسكو ، وهو من تصميم المهندس الانجليزي المشهور بكبناء من برمنجهام .

وترى في مدخل البناء قوالب الزجاج الموصلة للضوء التي تُمرق السقف . وقد استخدم الزجاج ايضاً في تركيب جدران الدور الارضي . أما جدران الطبقات التي تلي هذا الطابق ، فقد غطيت بزجاج أحمر صقيل يسمى في الصناعة « ڤيتروليت » Vitrolite

ويستعمل أيضاً هذا الصوف لامتصاص الصوت . فالمنازل الحديثة في بريطانيا لها سقوف مزودة بهذا الصوف ، فاذا طرقت سقف حجرة بعارضة ، فلا ينفذ منها الصوت . وكذلك تستعمل تلك الألياف الزجاجية في تصفية الهواء . فاذا عبئت في اطارات صغيرة ذات

شبكات سلكية من الجانبين وتوصل الى فتحة في حائط خارجي ، فان الصوف يصبح كالاسفنج ويرشح جميع الأقذار العالقة في الهواء المندفع نحو الغرفة .

تبين هذه الصورة نافذةً من الزجاج الذي يستخدم في المدافع لمقاومة الحرارة ، واسمه الصناعي «هيزل» : الـ Hyal - وقوم بصناعته في بريطانيا بيت « تشانس » Chance المعروف ، وقد نجح هذا البيت في كثير من التجارب التي تتعلق بانتاج الزجاج . ويصنع من صنف من الزجاج الذي يقاوم الحرارة صحاف لا تحترق وأقران زجاجية وأدوات للطبخ

والزجاج الصلب يستعمل الآن في عمل الآجر لبناء المنازل . وانك تستطيع ان تتصوَّر منزلاً ذا حوائط تشف عن لون ساحر وضوء خفيف آتٍ الى الحجرات من جميع النواحي .

وهذا الطوب الزجاجي لا يحتاج الى زخرفة فضلا عن انه متين ورخيص الثمن جدًّا. وهو خفيف الوزن ويمكن غسله بسهولة بالاسفنج. أما الجدران المصنوعة من الطوب المتشابك فيمكن أن تنفذ من خلالها الأشعة فوق البنفسجية. وبهذا يصبح داخل البيوت مشبعاً بأشعة الشمس التي لا يستطاع الحصول عليها الا على ثواضيء البحار.

ويكفي هذا بياناً لمنافع الزجاج في بناء المنازل. أما في داخل المنازل فللزجاج فوائد أخرى مستحدثة. فقد كانت أدوات المائدة مثلاً تصنع من زجاج رديء النوع أو هش أو غالي الثمن. أما الآن فبفضل الرمال التي تحتوي على الحديد، والتي استكشفت في اسكتلندا، يمكن عمل أدوات زجاجية للمائدة جميلة المنظر لامعة وضاءة. وقد استمر قادة الصناع والعلماء في انجلترا عاكفون على التجارب حتى توصلوا الى انتاج أنواع جديدة من الزجاج أمتن وأجمل من سالفتها، وهي في الوقت نفسه مخفضة الثمن.

ثم الزجاج الذي يقاوم الحرارة. فان أصحاب البيوت المصنوعة من الزجاج سوف يطهون طعامهم في أفران زجاجية ويقلون البيض في مقالي زجاجية ويلفون حجراتهم باستعمال المدفئات الزجاجية ويسنون أسنانهم على مسنات زجاجية. ويعزفون على بيانات زجاجية.

***

واذا رجعنا للكلام عن منافع الزجاج العاجلة نرى أن تجارب الحرب في عمل النظارات التي تلتحم بنار الاسيتلين قد أدت الى صنع نظارات شمسية تحجب الأشعة الضارة بالنظر دون أن يشعر لابسها انه في جوّ مظلم. فان الأشعة تحت الحمراء هي التي تؤذي العين وليس الضوء. وفي بريطانيا تباع أحسن عدسات النظارات في العالم جملة بثلثاء قروش قليلة.

ثم ماذا؟ بعد أن رأينا ان الزجاج يلبس ثياباً وتتخذ منه بيوتاً. ان حشوة من الزجاج تحيل العربة الرخيصة سيارة مقفلة فاخرة. أما سائل الزجاج فيزيل التأكل من داخل الأنابيب الساخنة، وتحل خيوط الزجاج محل الأوتار المستعملة في حياكة الجروح. وأما فتائل الزجاج التي تستعمل في مصابيح النفط وفي القداحات فلا يتكاثف عليها الكربون ولا يصيبها التلف بحال.

لم نبلغ بعد مبلغ القول بأن هذا العصر هو عصر الزجاج. الاّ انه يمكن ان يقال بحق انه عصر الرجال الذين تعلموا منافع الزجاج وأدركوا قيمته.

العقيدة والعقيدي والمذهب العقيدي

Dogma, Dogmatist, and Dogmatism

العقيدة : Dogma

From Orgak(1) = That which seem good, an opinion, view, a public decree, edict, or ordinance; from Gr. dokein = think, seem, appear, seem good (that is to be ones opinion, pleasure, or will, be decreed.)

المعنى العام : (١) فكرة مقررة : (٢) مبدأ أو ميل أو نزعة أو متجه فكري أو قاعدة ، يعتقد بأنها يقينية ثابتة : (٣) مذهب أو مبدأ يفرض تقبّله أو الاعتقاد به ، خضوعاً لسلطة مّا ، على العكس مما يتقبله العقل بناءً على حكم التجربة أو الاختبار ، وبالاجمال حكم ديني مفروض بحكم السلطة (٤) التعاليم أو الأحكام المفروضة بسلطان مّا : (٥) نظرية تقوم على مبادىء أو ميول دينية : (٦) مجموعة القواعد النصرانية ، كما تقررها الكنيسة العليا أو فرع من فروعها .

في فلسفة كنت : Kant : فرض تركيبي قائم على تصوّرات الادراك ، وهذا يضادُّ : أولاً — الحكم التحليلي : ثانياً — حقائق التجربة : ثالثاً — الفرض الرياضي ، وغير ذلك .

Quct., 1893. J. Orr. God and World, I. 26-note : Dogma I take to be a formulation of doctrine stamped with ecclesiastical authority

1856 Emerson. Eng. Traits, Lit. (Bohn) II. iii : if, going out of the region of dogma, we pass into that of general culture

***

العقيدي : Dogmatist(s) العقيديون

(LL. Dogmatisten) — Gr. dogmatictes : one who maintains dogmas.

المعنى العام : (١) من يقول بالاعتقاد ، أو يروّج لعقائد خاصة ويدعو اليها ، وبخاصة من يحاول أن يفرض على الغير آراءه وعقائده ، على أنها يقين : (٢) من يبشر بآراء جديدة أو نظريات وأحكام مبتكرة : (٣) من يقول بصحة مبادىء أو عقائد أو فكرات غير قائمة على البرهان أو التجربة : (٤) من يفرض تعاليمه بمحض سلطانه .

في الفلسفة : من ينتمي الى المذهب العقيدي في الفلسفة .

Quot. 1854. Kingsly iv-137 : Dogmatists : men who asserts so fiercely as to forget that a truth is meant to be used, and not to be asserted.

1858. Mansel Bampton Lect. i (ed. 4) — In the latter language of philosophy : the term Dogmatists was used to denote philosophers who endeavoured to explain the phenomena of experience by means of national conceptions and demonstrations.

في الفلسفة القديمة : فئة من فلاسفة الطبيعة القدماء أنشأها أبقراط ، متخذاً اسمها من لفظ يظهرها منابذة للاختباريين Empiricists : والأسلوبيين Methodists : وكانوا يقيمون اعتقادهم على استنتاجات أو فكرات يستمدونها من فروض نظرية ، يقولون إن من المستطاع تأييدها ، أو اقامة الدليل عليها منطقيًّا .

***

المذهب العقيدي : Dogmatism

Mod.Lat., dogmatismus (Gr. as if dogmatismos, dogamatizein = dogmatize).

المعنى العام : (١) القول بأن مذهباً أو رأياً مّا يقيني : (٢) صفة أن تكون ذا معتقد أو ذا اعتقاد في شيء : (٣) ذو سلطان أو مزوّد بالسلطة في مسائل المعتقد والفكر : (٤) يقينيّ : لا يقبل الجدل : (٥) التشدد في الدفاع عن صحة المعتقد أو الفكرات أو الدعوة اليها .

في الفلسفة : (١) أية نظرية تقوم على أصول يعليها العقل وحده ، من غير أن تستند الى تجربة ، على الضد من نظرية الشك Scepticism : ، وعلى الاجمال أسلوب في التفكير الفلسفي يقوم على مبادىء لم يسبرها التأمل : (٢) مذهب فئة من الفلاسفة يعرفون بالعقيديين.

Quot., 1853 : mansel Brampton Lect. i-(ed. 4)-the theological Dogmatism is ...an application of reason to the support and defence of pre-existing statement of Scripture.

1877. E. Caird. Philod. Kant i - 2 : what Kant meant we may best understand if we consider how he opposes Criticism to tow forms of philosophy, Dogmatism and Scepticism.

في فلسفة كنت Kant : : (١) أسلوب اعتقادي في الميتافيزيقيات Metaphysics : (الغيبيات) : (٢) يقين لم يجتلبه النقد مما يليه العقل عقواً بمجرد الظن أو التصوّر .

من حديقة أبيقور[1]

فرغت الآن من مطالعة كتاب ، يعرض فيه أحد الشعراء الفلاسفة ناساً لا يفرحون ولا يألمون ، ولا يتشوّفون الى جديد العرفان . وما كدت أخرج من أرض هذه « الأتوبيا » الجديدة ، وأعود الى أرض دنياي هذه ، فأرى الناس من حولي يناضلون ويحبون ويألمون ، حتى داخلني الشعور بمحبتهم ، وأحسست بالرضى عن مشاركتهم فيما يحزنون ! لشد ما نرى في هذا وحده الفرحة والحق : إنها الفرحة في الوصب والعذاب ، كالبلسم في جراح الشجرة الكريمة . لقد أمات أولئك الناس أهواءهم ومنازعهم ، فأماتوا فيهم كل شيء : أماتوا اللذة والألم ، وأماتوا الوصب والشوق ، وأماتوا الخير والشر والجمال : أماتوا كل شيء ، وأماتوا الفضيلة على الخصوص . فهم عقلاء حكماء بلا ريب ، ولكنهم مع ذلك لا يسوون شروى نقير ، لأن قيمة المرء فيما يبذل من جهد ونشاط . وأي شأن لحياتهم مهما طالت وامتدت ، إذا هم لم يملؤوها بالصخب أو يحبوها ويعيشوا فيها ؟

يفيدني هذا الكتاب النائمة الجلّى من حيث يُعز في خاطري هذه الحال القاسية التي تتحيّف الانسان ، ومن حيث يصل بيني وبين هذه الحياة المؤلمة ، ومن حيث يهدف بي الى تقدير الناس أمثالي : والى العطف الكبير على الانسانية . وفضل هذا الكتاب في انه يحبّب اليك الحقيقة الواقعة ، ويحذّرك من العقلية الخرافية والعقلية الواهمة . وهو إذ يعرض أحياء لا يألمون ، إنما يعلّمنا أن هؤلاء المحزونين المنعمين ليسوا لنا أكفاء ولا أقراناً ، وأن من أكبر الجنون أن نحوز حياتنا الى حياتهم ، إن كان التجاوز ممكن الوقوع .

يا للسعادة البائسة : أيكون عند هؤلاء فن ، وقد فقدوا المنازع والأهواء ؟ وكيف يكون فيهم شعراء ؟ يا ويحهم ! جهلوا ذوق القريحة الملحمية التي تستلهم خواطر الحقد والغرام ، والقريحة الهزلية التي تنزأ على إيقاع من تقائص البشر ومبائضهم . لقد عجزوا عن أن يتصوّروا في خيالهم بالسين كـ « ديدون » و « فيدر » وما رأوا قط هذه الأشباح العلوية القدسية التي تتخاطر مرتعشة تحت أمجاد الآس الخالدة .

عمي صمّ إزاء أعاجيب هذا الشعر الذي يؤلّه أرض البشر . لا يعرفون شاعراً كترجيليوس

(١) من كتاب حديقة أبيقور تحت الطبع لصاحب التوقيع

فاذا قيل انهم سعداء فلأنهم يملكون مصانع يصعدون بها الى العلاء . على ان بيتاً واحداً من الشعر الجميل قد أحسن الى الناس أكثر مما أحسنت اليهم « روائع » الصناعة المعدنية على الاطلاق .

يا للتطور الذي لا يرق ولا يلين ! إن هذه المجموعة من المهندسين لا تعرف الأهواء ولا الشعر ولا الغرام . واحسرتاه لهم ! كيف يحيون وهم سعداء ؟ إنما الحب لا يعمر ولا يزهر إلاّ بالألم . أليست اعترافات العشّاق هتافات الشدة والضيق والبرم ؟ لقد هتف الشاعر الانجليزي في إحدى نوبات حبه : « آه لو أن الله كان بائساً شقيّاً في مثل بؤسي وشقائي ، إذن ما استطاع من أجلك أنت يا محبوبتي أن يألم وأن يموت ! »

لنغفر للألم وقعه في أنفسنا ، ولنعلم حق العلم أنه من المستحيل أن نتصوّر سعادة أعظم من السعادة التي نشعر بها في هذه الحياة الشديدة الحلاوة والمرارة ، الكثيرة السوء والصلاح ، المثالية الواقعية معاً ، التي تضم كل شيء وتصل بين النقيض والنقيض . فهذي الحياة حديقتنا التي ينبغي أن نحرث أرضها بعزيمة ونشاط !

دمشق — محمد روحي فيصل

بحث معجمي : في الفلسفة وعلم النفس

المذهب العملي Bragmatism

(Pragmat (ic) & ism). Gr. bragmatikos = active, versed, in affairs: pragma = a thing done, a fact, pl. pragmata = affairs, state affairs, public business, etc. Also Practicalism.

(١) مذهب أن المعنى الكلي الذي يتضمنه تصور من التصورات، إنما يتجلى في النتائج العملية ، ملازماً صورة من السلوك أو الاخلاق يحسن اتخاذها ، مقروناً بتجارب ينتظر ظهور نتائجها العملية، اذا كان ذلك التصور صحيحاً . (٢) الاسلوب الذي يتذرع به قيمة قضية يدعى بأنها صحيحة ، بما يبرز من نتائجها، أي بما يكون لها من الآثار العملية في توجيه مصالح الانسان وأغراضه

Quot., 1900, W. Caldwell in "Mind" Oct-436- in this so called Pragmatism or Practicalism of Prof. James.

سيدة القصور[1]

وهذه قصة ثانية جميلة يقدمها لقراء العربية الأستاذ الشاعر الكبير علي الجارم بك ، و « سيدة القصور » وسابقتها « شاعر ملك » تكشفان لنا عن ملكة جديدة للجارم بك لم نكن نعرفها فيه من قبل ، فقد كان الشعر أساس عمله الأدبي حتى اليوم ، ولكن هاتين القصتين أظهرتا أنه قاص مجيد ، فليتنا لو توفر على هذا النوع من الانتاج الأدبي فأخرج للقراء القصص الكثيرة ، وبخاصة أنه يستوحي في قصصه صفحاً من تاريخنا المجيد فيجد هذه الصفحات حية قوية .

وقد أجاد الكاتب في عرض حوادث القصة ، وفي صياغة الحوار ، وأسلوبه جميل قوي ، ولا غرو فهو أسلوب شاعر عظيم ، استمع الى هذه القطعة الصغيرة من القصة ، وهي جزء من حديث الشاعر عمارة الى سيدة القصور .

— « يا مولاتي ... إننا معاشر الشعراء نرى الغور بعيون من الغن لا يبصر بها سوانا . نرى الجمال فنذهب بخيالنا في روضاته فيكشف لنا عن بدائع لا تراها العيون ... نحن نعيش في دنيا غير دنيا الناس ، ونفهم من أسرار الحسن غير ما يفهم الناس . إن الحسن أحياناً يتحدى الشعر ، وقد يعجز البيان ، وقد يبهر العين كما يهرني ، ولكنا لا نلقي أمامه السلاح أول مرة ، ولا نستسلم خاضعين ، بل نأخذ في إطلاق الشعر حوله رصيناً أو غير رصين ، مبيناً أو غير مبين ، ثم نصيح كما يصيح المحموم ، حتى نخفف من ثورة قلوبنا ، والا قتلنا الحب ، ورحنا شهداء النظرات القاتلة ، والبسمات الفاتنة .. الخ .. الخ .

وبطلة القصة « سيدة القصور » عمة الخليفتين الفاطميين : الفائز والعاضد ، وهي شخصية قوية ، وعقلية جبارة ، كانت لها السيطرة على البلاط الفاطمي في آخر أيامه ، وبطل القصة الشاعر المعروف عمارة اليمني ، وموضوعها عرض تاريخي للحوادث التي انتهت بزوال الدولة

(١) تقدم كتاب من تأليف الاستاذ علي الجارم بك ، دار المعارف القاهرة

الفاطمية . غير أني لاحظت أن الأستاذ المؤلف تحرَّر كثيراً من قيود الرقة العلمية عند عرض الحوادث ، ولم يرجع للأصول التاريخية المعاصرة لتحقيق الأحداث التاريخية التي اتخذها أساساً لقصته :

١ — فهو قد عرض في قصته لشخصية الواعظ زين الدين بن نجا ، وجعل هذا الواعظ رجلا يمنيًّا اسمه « الحراني » من أسرة يمنية وضيعة، وصوَّره عدوًّا لمواطن عمارة لثارات كانت بين الأسرتين ، ثم نقل الرجلين الى القاهرة ، وذكر ان الحراني عاش في مصر متكراً يسمى نفسه « زين الدين بن نجا » ويشتغل بالوعظ ، ويكيد في الخفاء لعمارة ، ثم ارتحل به الى الشام ، وعاد به في مؤخرة جيش أسد الدين شيركوه .

والمتفق عليه حقًّا بين كتَّاب القصة التاريخية أنهم يستطيعون التصرف ، بعض الشيء في الحوادث التاريخية ، وخلق شخصيات تكمل الصورة الفنية التي يبغون لإحيائها ، ولكنهم مطالبون دائماً بمراعاة الدقة عند عرض الحوادث التاريخية الهامة ، وتصوير أبطال القصة ، ووصف خلقهم وخُلقهم وملابسهم وقصورهم وعاداتهم.. الخ ، لذلك يبذل كتَّاب القصة التاريخية الجهد كل الجهد في مراجعة الكتب المعاصرة لتخرج قصصهم كاملة من هذه الناحية،أي تصوير العصر الذي يكتبون عنه خير تصوير وأصدقه ، فهل فعل الجارم بك هذا عند كتابة « سيدة القصور » ؟ لقد نقلنا للقارىء الكريم ما ذكره عن زين الدين بن نجا ولكن المراجع المعاصرة تذكر أن ابن نجا لم يكن اسمه « الحراني » بل اسمه الكامل : « ابو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الانصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نجية الواعظ » ،ولم تذكر هذه المراجع انه كان يمنيًّا ، بل تذكر انه فقيه ولد في دمشق سنة ٥٠٨ هـ ونشأ بها ، وارتحل الى بغداد مراراً ثم انتقل الى مصر وحدَّث بها ، وتوفى في مصر في ثامن رمضان سنة ٥٩٩ هـ (انظر ابن خلكان ، الوفيات ج ١ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ وابو شامة ،الروضتين ، ج ١ ص ٣٣٩ وج ٢ ص ٢١ ، ٥٧ — ٥٨) .

٢ — الصورة التي رسمها الجارم بك لزين الدين بن نجا صورة كريهة فقد جعله عالماً متآمراً حقوداً دساساً . . الخ ، وهذا كله مصدره الخطأ السابق ، في حين أن المراجع المعاصرة كلها تكيل لزين الدين المدح وتنعته النعوت الطيبة .

٣ — ذكر الأستاذ المؤلف أن عمارة وفد على مصر سفيراً من لدن أمير مكة فذهب الى القصر الخليفي ، وألقى بين يدي الخليفة الفائز قصيدته العصماء :

الجد ليس بعد العز والهمم حمداً يقوم بما أوليتَ من نعم

ثم استقرّ في مصر بعد ذلك ، واتصل بالبلاط الفاطمي ، والوزراء الفاطميين ، وقال في الجميع المدائح الكثيرة ، ثم لعب دوره المشهور في الحوادث السياسية التي انتهت بزوال الدولة الفاطمية . والذي تذكره المراجع أن عمارة وفد على مصر رسولاً من قبل أمير مكة مرتين : الأولى وهي التي أنشد فيها القصيدة سنة ٥٥٠ هـ ، والثانية في سنة ٥٥١ هـ ، يقول عمارة نفسه في كتاب « النكت العصرية » ص ٣١ — ٣٢ :

« خرجت حاجًّا بل هاجًّا الى مكة سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وفي موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة ذو لي الحرمين ولده قاسم بن هاشم فألزمني السفارة عنه ، والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمتها في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمس مائة والخليفة بها يومئذٍ الفائز بن الظافر ، والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزيك ، فلما أحضرت للسلام عليهما في قاعة الذهب ... أنشدتهما قصيدة » . . (ثم يذكر القصيدة السابقة)

ويذكر عمارة بعد ذلك خبر عودته الى وطنه اليمن ، وانه حجّ الى مكة ثانية في سنة ٥٥١ هـ الى أن يقول في ص ٤١ — ٤٢ : « وهممت بالرجوع الى اليمن فألزمني أمير الحرمين بالترحل عنه الى الملك الصالح بسبب جناية جناها خدمه على حاج مصر والشام ... فخرج الأمر من عند الصالح الى الوالي بقوص أن يعوقني بقوص ولا يأذن لي في الرجوع ولا في القدوم الى باب السلطان حتى يرد أمير الحرمين ما أخذ من مال التجار ، وقيل ذلك ما نقل الى الصالح عني أني طعنت في مذهب الامامية ... ثم أذن لي الصالح في القدوم الى الباب ... »

وبعد هذه السفارة الثانية استقرّ عمارة في مصر وكان من أمره ما كان...

٤ — قال الأستاذ لنجارم بك في قصته ص ١٣٩ : « وبعد يوم استدعى الخليفة القاضد أسد الدين الى القصر وخلع عليه خلعة الوزارة ، ولقبه بالمنصور فغضب شاور لعزله من الوزارة .. الخ » فكأنه بهذا يثبت أن أسد الدين ولي الوزارة للعاضد وشاور حي ، بينما المراجع المعاصرة كلها تذكر انه لم يلِ الوزارة إلاّ بعد قتل شاور ، يقول أبو شامة مثلاً في الروضتين ج ١ ص ٥١٨ :

« فصل في وزارة أسد الدين ، وذلك عقيب قتل شاور وتنفيذ رأسه إلى القصر ، أنفذ الى أسد الدين خلعة الوزارة فلبسها ، وسار وَدَخل القصر ، وَرتب وزيراً ، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش ، وقصد دار الوزارة منزلها . . الخ »

٥ — يقول الأستاذ المؤلف ص ١٢٠ : « وما هي إلاّ أيام حتى دخل شاور القاهرة ، وفرّ رزّيك إلى المقيم ، وتمكن منه شاور وقتله . . . الخ » ، وصاحب الروضتين

ينقل في ج ١ ص ١٦٥ عن يحيى بن أبي طي — وهو مؤرخ فاطمي — ما يلي : « وجمع — أي شاور — العربان وأهل الصعيد وزحفوا إلى القاهرة ... فخرج رزيك لنصف الليل فضل الطريق وتاه عند الصباح ، وثم بيوت عرب فقبضوا عليه ، وحمل إلى شاور ، ولما حصل رزيك عند شاور أكرمه وصلب الذي أتى به ، ونادى عليه : « هذا جزاء من لا يرعى الجميل » . . وكان ملهم وأخوه ضرغام من صنائع الصالح بن رزيك ، فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذا في مراسلة رزيك بن الصالح وهو في السجن والعمل له في إعادته إلى الوزارة ، واتصل ذلك بطي بن شاور فدخل على أبيه وقال له : أنت غافل وملهم وضرغام يفسدان أمرك ، وقد شرعا في أمر رزيك ، واستحلفا له جماعة من الأمراء ، ولا يمكن تلافي حالك إلا بقتل رزيك » فقال له شاور : « إن الصالح أولاني جميلاً وبسببه حللت هذا المحل » فتركه ولده طي ، ودخل على رزيك فقتله في سجنه ، وسمع شاور ذلك فقامت قيامته .. الخ »

٦ — قال الأستاذ الجارم بك ص ١٢٤ عن المقابلة الأولى بين شاور ونور الدين في الشام : « ودخل شاور فرأى نور الدين جالساً القرفصاء في صدر الخيمة ، وفي يده سبحة تتحرك حباتها بحركات لسانه ، وقد جلس إلى يمينه العلماء والفقهاء والمحدثون ... الخ » والذي يذكره صاحب الروضتين ج ١ ص ١٦٥ أن المقابلة تمت في الميدان الأخضر بدمشق ، قال : « وركب نور الدين في نفر من وجوه دولته ... فلما دخل الميدان ركب شاور من الجوسق ، والتقيا في وسط الميدان بالتحية فقط ، ولم يترجل أحد منهما لصاحبه ، ثم سارا من موضع اجتماعهما وهو نصف الميدان إلى آخره .. الخ »

* ***

وبعد فهذه بعض صور من القصة رأينا الأستاذ المؤلف يبعد فيها عن الحقائق التاريخية بعداً يسيء إلى هذه الحقائق التاريخية نفسها .. دون مبرر يقتضيه العرض الروائي أو الحبكة القصصية .. ، ترى هل يقرني أعلام القصة التاريخية في مصر على هذا النقد .. ؟ إني أكون جد مسرور لو تكرم بعض هؤلاء الأعلام وخاصة زعيمهم أستاذي الجليل محمد فريد أبو حديد بمناقشة هذا المبدأ .

جمال الدين الشيال
مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب
بجامعة فاروق الاول

حَلٌّ — Absolution

L. Absolution (n) - : absolvere = loosen from.

---

(١) التحرير من الخطيئة بسلطة الكنيسة (٢) العبارات التي يعلن بها التحرير من الخطيئة

في اللاهوت الروماني : أن يعلن صاحب السلطة الكنسية ، على اعتبار انه يستمد السلطة من السيد المسيح، تحرير المخطيء من الخطيئة في أثناء تلقي الاسرار المقدسة بقبول التوبة منه، ولا يعتبر هذا العمل ترديداً لما ورد في الانجيل أو اعلاناً بأن الله لابد من أن يغفر عمن يتوبون اليه لا غير، بل أنه ، بحسب التعريف الذي أقره مجمع « ترنت » Trent ، عمل شرعي يضفي فيه للقسيس ، باعتباره قاضياً، حكماً على التائب .

في اللاهوت البروتستانتي : اعلان مقدس يحقق للتائب الغفر الالهي تلقاء ندامته وايمانه .

***

يعلن القسيس في الكنيسة الرومانية الحل باسمه قائلا : « إني أحلك » :

"I absolve thee".

أما عند الأطراف البروتستانتية التي تتخذ صيغة خاصة للحل ، وكذلك في الكنيسة الانجليكانية ، فان الحل يعلن باسم الله وفي صورة صلاة : « ان الله أو المسيح يحلك »

"God (or Christ) absolve thee".

***

Quot., By absolution (in the Augsburg confession) is meant the offical declaration of the clergyman to the penitent that his sins are forgiven him upon finding or believing that he is exercising a godly sorrow, and is trusting in the blood of Christ.

Shedd, Hist. of Christ.

الحياة سر الوجود

او كيف تتخطى الوحدة العربية العقبات

ثلاثة يتسقّطون الحقيقة ، أو سرّ الوجود ، وهم الشاعر والفيلسوف والنبي . وأولهم أقرب الى ثالثهم منه الى ثانيهم وثانيهم أكثر اعتصاماً بالعقل ، ولذا فهو كالعقل أضيق مجالاً من أخويه . وكلٌّ من هؤلاء الثلاثة ينشد الحقيقة من باب . فالشاعر ينشدها من باب الخيال ، والفيلسوف من باب العقل ، والنبي من باب الالهام ، وكاتب هذي السطور يتشرف بالاعتراف انه ليس واحداً منهم ، مع أني مطّلع على شأن كلٍّ منهم ، ومعرفتي كيف بلغ كلٌّ منهم الموقف الذي يشرّفه ، وأعرف ما نشأ عن كلٍّ منهم ، أو عمّا عزي اليه ، في تاريخ الأسرة البشرية . وقد يكون ذلك موضوع مقالة على حدة .

كان النبي يُدعى ، في فجر التاريخ الاسرائيلي ، « رائياً » . فيقول قاصدهُ « اني ذاهب الى الرائي » . وكلمة « راء » بهذا الاعتبار صفة مبالغة لا اسم فاعل ، لأنه يعتبر في نسبة الحدث فيها معنى الثبوت . فالرائي بهذا المعنى هو من يرى ما لا يراه غيرُه من سائر الناس . فالفرق كبير بين راء وراء . فالعلماء هم عيون ولا يبصرون . أما الرائي فله مع العيون بصيرة ترى ما دقّ عن الأبصار .

والشاعر كذلك من صيغ المبالغة كفاضل . والمراد به من يشعر بما لا يشعر به غيره من محاسن هذا الوجود . والفرق كبير بين شاعر وشاعر ، كما بين راء وراء .

والشاعرية أقرب نسباً الى النبوّة منها الى الفلسفة . والفلسفة أكثر امتاناً منها الى العلم لأنها من أعمال العقل ، مبتكر العلم . وهي ترمي الى سرّ الوجود كحقيقة . والشاعرية ترمي اليه كجمال . والنبوّة ترمي اليه كجمال وحقيقة ، أو كخير . لأن الخير في ما أرى ، هو مجموع الحقيقة والجمال .

والفلسفة كالعلم متصلة بغير المحدود ، ولكنه ليس في متناولها . أما الشاعرية والنبوّة فغير مقيدتين بالعقل فهما أكثر حرية من الفلسفة . ومن رام التوسع في ذلك فعليه بكتاب « ايرمن » وكتاب « النشوء الخالق » لبرغسن وكتاب « الآلهة » لولتر سكت .

وأريد بالشاعرية هنا شيئاً هو غير نظم القريض . وأكثر الناظمين ليسوا بشعراء . وقد يكون الشاعر غير ناظم . فاذا اجتمع الاثنين قلنا ملتن ودانتي وهوميروس والمعري ولا أعرف في عصرنا شاعراً غير رابندرانات تاغور الهندي . أما في أوروبا وأميركا فلا أعرف شاعراً من هذا الصف . أما في أنبياء اسرائيل فأعرف ثلاثة شعراء ، وهم داود ودانيال وحزقيال . واليك قطعة من فن ثالثهم . وقد ورد ذلك في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر نبوَّة حزقيال في التوراة ، قال : —

« كانت عليَّ يد الرب ، فأخرجني . . . الى البقعة ، وهي ملآنة عظاماً . وامرَّني عليها من حولها ، واذا هي كثيرة جدًّا ، واذا هي يابسة . فقال لي (الرب) يا ابن آدم أتحيا هذي العظام ؟ . فقلت يا سيد الرب ، أنت تعلم . فقال لي تنبَّأ على هذي العظام . وقل لها ، أيتها العظام اليابسة ، اسمعي كلمة الرب . هكذا قال الرب لهذه العظام اليابسة ، هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون . وأضع عليكم عصباً . وأكسوكم لحماً . وأبسط عليكم جلداً . فتعلمون اني أنا الرب . . .

(يقول النبي) فتنبَّأت كما أمرت ، وبينما أنا أتنبَّأ كان صوت ، واذا رعش . فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه (فصارت هيا كل عظام) . ونظرتُ ، واذا بالعصب كساها . وبسط الجلد عليها . وليس فيها روح . فقال لي الرب : تنبَّأ يا ابن آدم ، وقل للروح : هلمَّ يا روح من الريح الاربع . وهبَّ على هؤلاء القتلى فيحيون . فتنبَّأت كما أمرني . فدخل فيهم الروح . فحيوا . وقاموا على أقدامهم ، جيش عظيم جدًّا جدًّا .

هذا هو الخيال الشعري الذي أبدعته النبوة . فلنسمع مساقه بقلم النبي ، قال : —

ثمَّ قال لي الرب : يا ابن آدم . هذي العظام هي كل بيت اسرائيل . ها هم يقولون : يبست عظامنا ، وهلك رجاؤنا . قد انقطعنا . لذلك تنبَّأ وقل لهم : هكذا قال السيد الرب . هأنذا أفتح قبوركم ، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي ، وآتي بكم الى أرض اسرائيل . فتعلمون اني أنا الرب » انتهت القطعة النبوية . وفيها أتبيَّن مجلى شاعرية ، وشعار قومية . لا ريبة فيها ولم يحلم حزقيال ذلك الحلم إلاَّ وهو مشبع بالقومية . ولم يبدع في تصويره بهذا الخيال إلاَّ وهو فياض بالشاعريَّة . وهذي القطعة أحد أسس الصهيونية التي قضى علينا سوء الحظ ان نجابهها ، وقد نالنا من جرائها ما نالنا .

أقول : وأراني في موقف حزقيال ، وليس لي نبوَّة حزقيال ولا شاعريته ، فأتلمس معنى هذي القطعة ، وهي آية من حزقيال ، لالقاء نور على « مبعث الأمة العربية » ، بعد هجوعها الطويل منذ أواخر العباسيين إلى مستهلّ القرن العشرين ، وغرضي بهذي المقالة تبيان الصورة

التي بها تتغلّب الأمم العربية على العقبات الكأداء التي تحول دون وحدتها ، وهذي المقالة تتمة المقالة المنشورة في عدد يناير من المقتطف الأغرّ

يصوّر لنا خيال النبي الشعريّ فعلين عظيمين هما لحمة القومية وسداها . والفعلان هما تقارب العظام والروح . فبالفعل الأول حدث الاتصال والتماسك . السلاميات بالرسغ والزند بالساعد بالترقوة بالقص والاضلاع والسلسلة الفقارية والطرفين السفليين . وعلى أعلى السلسلة الجمجمة . تلا ذلك اللحم والعصب والجلد . هذا هو الفعل الأول . وبالثاني وهو تتمة العمل نشوء الحياة في تلك الجثث . ويعبّر عنه النبي هنا بدخول الروح فيها ، جرياً على المتعارف عندهم في تلك العصور .

يتمّ هذان الفعلان في كل أمة هامدة ، اذا شاء ربُّك ان تحيا . ذلك ما حصل في اليونان منذ سنة ١٧٥٠ وفي ايطاليا منذ سنة ١٨٥٩ . وذلك ما نتوقع اتمامه في الأمة العربية ، وهي عندي أعصى على المبعث القومي في تينك الأمتين ، الجارتين ، وذلك لاسباب ذكرت بعضها في المقالة الماضية . ولكن اذا كان قد قضى لهذي الأمة العزيزة ان تبعث بعد ان قضت « فالحياة » هي السرّ في تغلّبها على العقبات الكأداء .

لنا في الطبيعة روابط راهنة ، أولها رابط الوحدات الكهربائية ، الذي يجمع الذريرات أو يثرها فتتصور في شكل ندعوه « ذرة » أو « جوهر فرد » « Atom » . ثمّ هنالك رابط آخر يجمع تلك الذرّات ، أو الجواهر الفردة ، في ما ندعوه « دقيقة » « Particle » . فالذرة مؤلفة من الكترون وبروتون ونوترون وبوزترون . والدقيقة مؤلفة من ذرّات . فتنقسم الخلايا العضوية إلى دقائق ميكانيكيًا . اما الذرّة فلا تنقسم إلى جواهر فردة بالطريقة الميكانيكية ، بل بالتحليل الكيماوي . اما الذرة فلا تنقسم ميكانيكيًا ، ولا تتحلّل كيماوياً ولكنها تنفلق كهربائيًا وهنالك رابط آخر عام اكتشفه العلامة اسحق نيوتن ، وصحّحه أو فسّره البرت اينشتاين ، وهو ما ندعوه الجاذبية العامة ، الذي به تتناسب وتنتظم الأجرام السماوية وهي ما ندعوه « كوناً » أو Universe

أقول : ان درس الكون بما فيه من الروابط الأربعة ، الكهربائي والملاصقة والالتصاق والجاذبية العامة ، هذا الدرس يبقى ناقصاً ، اذا نحن صرفنا النظر عن رابط آخر عظيم ، يجمع دقائق منوّعة ، في شكل عضوي ، وندعو ذلك الرابط « الحياة » فالنبات والحيوان أجسام عضوية ترابطت خلاياها برابط الحياة ، وهي سرٌّ لا ندركه ، لكنا نشاهد آثاره في الهضم أو التمثيل والدوران والنمو والتطور الخ

وأرى ذلك الناموس السامي فاعلاً في الأمم فعله في العضويات لأن الأمم مجموعات مؤلفة

من عضويات كما أوضح ذلك هربرت سبنسر في فلسفته التركيبية . فأبان أن الناموس الفاعل في الأحياء هو الناموس الفاعل في الاجتماع أو الهيئة الاجتماعية .

ما هي الحياة ؟ . لا أدري

ما هي الكهربائية ؟ . لا أدري

ما هي الجاذبية ؟ . لا أدري

فلم يُتَح لنا ادراك الماهيات . لكني أعلم ان الحياة والكهربائية والجاذبية ، تجمع والامم تجوعات كوائن حية ، كالاجسام المعدنية والفلكية والعضوية .

أجل انك تقول لي ان الأمم العربية شذرات متفرقة هنا وهناك . متقاطعة متباعدة متخاذلة ، ولكن هل هي أكثر تباعداً من « العظام في البقعة » التي مرَّ بك وصفها في آية من حزقيال ؟ وقد رأيت كيف تلاءمت تلك العظام اليابسة وترابطت وعادت الى الحياة . وهل الأمم العربية أكثر تباعداً من استراليا وكندا وجنوبي افريقية وبريطانيا ؟ لا لعمري . مع ذلك انظر كيف ترابطت تلك الاقسام فتألف منها الامبراطورية الانكليزية ؟ فاذا دبت الحياة في أقسام العالم العربي ، فلا تحول الابعاد دون تماسكه . أقول ، وأعلم أني عن عقل أقول ، اذا توافرت عوامل بعث الأمة العربية بقوة العظيم الجبار ، زالت العقبة الأولى التي هي عقبة جغرافية .

كذلك العقبة الثانية وهي « الفقر » أعرف واعترف انا أفقر امم الدنيا . أفقر من بريطانيا ، ومن فرنسا ، ومن ايطاليا ، ومن روسيا ، بل نحن أفقر أمة على وجه الغبراء . ولكن هل نحن أفقر من الوليد ، الذي تضعه الوالدة بدون كسوة ولا حول . ولكن ، والحكيم يرمق و « لكن » بعين الشاعر . أقول ولكن كل مترفي الدنيا هو ذلك الوليد الذي كان بلا حول ولا طول ولا شأو . ولكن الحياة ضامن بقائه وثرائه ونمائه وهنائه .

نعم نعم . ان الأمم العربية اليوم بدون أساطيل ، ولا طائرات ، ولا ذخائر ، ولا ثراء ، ولا مستعمرات ، لكنها ليست أفقر من الوليد . فالحياة التي ضمنت ثراء الوليد تضمن ثراء الامم العربية وقوتها . لا أقدر ان أصف شكلها السياسي ، هل تكون امبراطورية ، أو دولاً مترابطة أو ولايات متحدة . وانما أعلم أن كل من سار على الدرب وصل . والامم العربية الآن على الدرب ، فستصل .

ها ألوف من أبنائها وبناتها في دور التخصص ، في اوربا وأمريكا . وها عشرات الألوف يعملون في التشريع والاجراء وبناء الجسوم الاجتماعية التي ندعوها « الدولة » أو « الدول » وملايين يتململون الى تحقيق أحلام الرائين أقلمين ومحدثين في عودة الامم العربية الى

الحياة والاستقلال ، سياسيًا واقتصاديًا . ومطالع ذلك العصر السعيد تلوح في آفاق الشرق كأنوار الغزالة وهي لا تزال تحت الأفق . يتزايد نورها شيئًا فشيئًا الى أن يتكامل اشراقها وارتفاعها الى سمت الرأي .

ان أمم أوربا تسيطر علينا سيطرة الوالدين على الوليد . ولكن ذلك الوليد الحقير بعد نصف قرن يرث ما كان لوالديه من حول وطول . وما أدراك إنا صغرت أمم الغرب بعد مرور عقود السنين ؟ . لقد كانت تلك الامم في عهد الطفولة . وكنا في طور الرشاد الاجتماعي ، فكنا لها آباء ومرشدين . فتقلصت وتقهقرنا ، وسبقتنا بعد ما أخذت عنا أسس مفاخرها ، ولكن التاريخ يعيد نفسه . من كان يظن أن دول بابل وأشور وفرس تدول . وان لندن وباريس ووشنطن وموسكو ستسود الدنيا ؟ ولكن الأمر يظل عجيبًا حتى يحدث . فمتى ألفته الانظار فصار عاديًا ، لا يستغرب كالراديو والطائرات .

ان هذا القديم كان حديثًا وسيبقى هذا الحديث قديما

ذكرت عقبة كأداء في سبيل الوحدة العربية ، وهي « اختلاف المقاييس » . ولكن توحيد الثقافة يتغلب عليها . العلم يجمع الأفكار ويوحد العقيدة . فالناس على اختلاف سفاسفهم يتوحدون فكرًا في العلم . فلا خلاف بينهم في أن اثنين واثنين أربعة . وان زوايا المثلث في سطح مستقيم تعدل قائمتين ، وان النور والحرارة تقل كربع البعد وان الاجسام العضوية هي خلايا مترابطة متبادلة التعاون والنفع ، والعلماء في كل أمة متفاهمون متوافقون . وكذلك الأدباء في كل عصر وفي كل مصر . فوحدة الثقافة مجلى من مجالي الحياة . وبها تتوحد المقاييس .

أقول ان الانسانية في أعماقها وذراها واحدة . والفروقات والتقسيمات بينها انما هي بين هذين الطرفين . فاذا تعمقنا في أغوار الانسانية وجدنا أن أحوالها وحاجاتها واحدة . وكذلك اذا ارتقت الافكار علمًا وثقافة كانت واحدة . فالجهل — وهو الموت عقليًا — يمزقها شر ممزق . ولكن العلم والعرفان يوحد فكرها . وباستمرار أبناء العربية في طلاب العلم والثقافة يتقاربون ويتفاهمون فتتوحد المقاييس . ويصير كل فريق منهم يرى الأحمر أحمر والأزرق أزرق والأصفر أصفر فالعامة عيون والعلماء عين واحدة . والعامة مذاهب والعلماء مذهب واحد . والموت تمام الانفصال وعدم التفاهم . أما الأحياء فيتفاهمون ويتحدون

واذا كانت الحياة سر الوجود . فالايمان سر الحياة ، لا أريد بالايمان هنا الايمان المذهبي ، بل الايمان الكوني . الايمان الكوني هو الاستمساك بالنواميس الطبيعية وبسيادة العقل على المادة ، أو تصرف الحياة بالمادة .

قال حزقيال : — وبينما أنا أتنبأ كان صوت واذا رعش ، وتقاربت العظام : ذلك ما أرى وما أسمع . لست شاعراً ولكني أسمع بأذن الشاعر . ولست نبيًّا ولكني أرى بعين النبي . ولا أنا فيلسوف ، ولكني أفهم بعقل الفيلسوف ، أسمع الأصوات تتجاوب أصداؤها في أسماع العربية ، وأرى حركات تقارب بين تلك العظام اليابسة ، التي كانت تدوسها أقدام غير مغسولة . وها هي ذي أخبارها . تحملها صحف الأنباء فيما أنا أكتب . واليك ما يأتي :

ابتهاج سورية بالحلف العربي

ردّ الملك ابن السعود والملك يحيى على تهاني البرلمان السوري

بيروت في ٢٧ دسمبر سنة ١٩٣٧

تلقى رئيس مجلس النواب السوري من سكرتير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود برقية هذا نصها : — لقد رفعت لجلالة مولاي الملك برقية معاليكم المعربة عن تهنئة المجلس النيابي السوري وابتهاجه بابرام معاهدة الحلف بين اليمن والعراق والمملكة السعودية . وقد أمرني جلالته أن أقدم لمعاليكم شكر جلالته للعاطفة العربية السامية التي أعرب عنها مجلس سورية العربي النيابي » .

« ان هذا المظهر العربي الكريم في سورية ليس بالشيء العجيب ، ولا بالجديد ، بل هو معروف انه في قرارة كل نفس في سورية العربية . وإن جلالته ليرجو منكم ، ثم يرجو من المجلس ، دوام هذا التآخي العربي ، وتوثيقه ، وشموله سائر الاقطار العربية لاعادة مجدها وحفظ كيانها » .

واللبيب في غنى عما قد يتبرّع به المؤرخ من الشروح الضافية لهذا الحادث ، وما يراه ثاقب النظر بين سطور هذي البرقية ؛ أخص بها العبارة التالية « دوام هذا التآخي وتوثيقه ، وشموله سائر الأقطار العربية » . فهذه البرقية ترجمة ما يختلج في صدر كل عربي دبّت فيه الحياة القومية . واليك البرقية التالية :

وتلقى رئيس المجلس برقية أخرى من جلالة الامام يحيى امام اليمن هذا نصها : —

« لي فخر عظيم بأن أبلغكم بأنه لدى تقديم تلغرافكم الى حضرة أمير المؤمنين جلالة ملكي المعظم أظهر احساساته الشكرانية ودعواته الخيرية لسلامة وتعالي الشعوب العربية في ظل الاتحاد ، وتوحيد الكلمة . ويتمنى جلالته تبليغ شكرانه الى جميع رفقائكم المحترمين »

لأبناء عدنان وقحطان سطر لامع في تاريخ هذا النهار . وأرى في عقد المعاهدات بين العراق واليمن ونجد بارقة أمل في استعادة مجد أمجادها . وأرجو القارىء الكريم ألاّ

يفصل ما بين تلك الأقطار من الفوارق المذهبية . فالعراق فيه أقلية مسيحية ، وأكثرية اسلامية منقسمة سنية وشيعة . وتغلب في مملكة ابن السعود الوهابية ، وفي اليمن الزيدية . فاتحاد كل هذه الأمم في الحلف العربي ، مع ما بينها من الفوارق ليس عملا صبيانيًا . وبالحري ليس هو من فعال الموتى . واذا لم يكن نتيجة حياة فهو مقدمة حياة . وفي الحياة القومية حل مشاكل الوجود .

وهنالك ظاهرة حياة ثانية . وهي ما تجلى من شعور العراق ومصر وسورية نحو فلسطين : فقد وقف كلٌّ من نائبي الأولين في جمعية الأمم في جنيف موقف الدفاع عن حقوق العرب في فلسطين . وأرسلت سورية مندوبًا خاصًا الى أوربا للدفاع عن تلك الحقوق ، والسعي لدى أمم أوربا في إنالة العرب حقوقهم تلقاء الاستعمار الصهيوني . فهذا الموقف يفصح عن وحدة الروح بين أمم العين والضاد ، رغم ما بينها من الفوارق والتباين واختلاف المقاييس . واذا ذكرت في مصر أمرين كبيرين تبينت معنى ذلك الموقف . الأول : ان مصر حليفة انكلترا التي عليها ينصب اللوم في مسألة فلسطين . والثاني : ان نائب مصر في جمعية الأمم مسيحي . وقد تكلم من اقتناع روحه وميل قلبه ، مع إعرابه عن سياسة مصر العربية ، وهو وزير خارجيتها . فالأمر واضح ان الوحدة العربية وان لم تتم بعد فهي في طريق التكامل . ووحدة الميول قبل الشكل السياسي . واذ نكتب في الموضوع فلسنا نضارب الهواء ، أو اننا نهرف بما لا نعرف ، انما نثبت في صفحات حقائق راهنة ، وهي تراثنا لأحفادنا الذين نودعهم أمر الوحدة العربية .

لست أجهل ما يحول دون الوحدة العربية من العقبات . وما في مجموعها من المشاغبات ولكن هل هي حياة ؟ . لا ورب الكعبة ، ولا هاجعة . بل هي حية مستيقظة ساعية إلى تمام وحدتها . وما نراهُ في مجموعاتها من التقسيم والمشاغبات ، إن هو الاَّ من ظاهرات الطفولة . ولكن الطفل لا يظل طفلاً إلى الأبد . بل إذا صان الله حياته ، ينمو ويبلغ رشادهُ . ذلك ما نرجوهُ للامم العربية . فالأزمات السياسية والمشاكل الحاضرة لا تنفي حياة الأمة ، بل هي دليل حياتها . والاَّ فهل سمعت شيئاً وضوضاء يزعزع ساكني القبور ؟ . لا وأبيك . فالمنازعات والصيحات ان دلَّت على شيء مضاف إلى الحياة ، فهي دليل الطفولة أو الصبوة الاجتماعية .

بقي أن هنالك ظاهرة حياة في الحركة الصناعية في الأقطار العربية . والعمل ثمرة الحياة ودليل على وجودها . وقد يكون شرح النهضة الصناعية في البلدان العربية موضوع مقالة على حدة . فاكتفي بالاشارة اليه الآن

ودليل آخر قاطع ، على يقظة الأمم العربية موقف أبنائها في أقسام المهجر وفي كل أقسام

الدنيا ، ولاسيما في قارّتي أمريكا . فشعور أولئك المهاجرين مع وطنهم الأصلي ، وأمتهم العربية وما لهم في خدمتها من الهمة القعساء ، واليد البيضاء ، دليل على وجود حياة قومية متقدّمة . يزداد هـذا الدليل قوة اذا ذكرت ان أكثرية أولئك المهاجرين مسيحيون . وأكثرهم ليس لهم أي مطمع في منصب أو رفعة في ما لو نالت الأمم العربيـة مطالبها السامي . اذا اعتبرت ذلك . . ولا أراك إلاّ معتبراً ، وضح لك وضوح الصبح لذي عينين أن الحيـاة الجديدة في بني قحطان ليست حديث خرافة ، إنما هي أمر واقع لامراء فيه .

والأمم العربية اليوم في موقف انتظار الزعيم الأكبر ، أو الزعماء لقيادتها الى غايتها المقصودة وضالتها المنشودة . فتتوحد صفوفها وتنتظم شؤونها . لا أنكر انه قد نشأ فينا زعماء يستحقون الاحترام أذكر منهم ثلاثة ، وهم سعد زغلول ، والملك فيصل ، والملك عبد العزيز آل السعود . على أن زعامة كل منهم لم تتجاوز قطر خاص من الاقطار العربية . الاّ ان المرحوم الملك فيصل كان أكثر رغبة في خدمة مجموع الامم العربية لاقطر خاص من أقطارها . يعزّ يقظة الامم العربية تدرج ابنائها في معارج التخصص العلمي . في معاهد اوربا وأمريكا .

وأيضاً حرية المرأة الذي بزغت شمسه في مصر وسورية والعراق وتزولها الى ميدان الجهاد جنباً الى جنب مع الرجل .

ومن مؤيدات اليقظة العربية تقهقر التعصب وأضاؤله . وبقياس ذلك التضاؤل يكون تقدّم الحياة الاجتماعية . والخلاصة ان العقبـات انكأداء في سبيل الوحدة العربيـة ليست دليل موتها ، انما هي باعث على مضاعفة الجهود وزيادة الهمة في السعي لادراك المنى وستغلب الحياة على العقبات باذن الله . والزمان كفيل بتحقيق الآمال

حنا عبّود

من أدب الغرب

تهذيب الناشئ

CHILD GUIDANCE. By W. Mary, Burbury, Edna M. Bliant, Birdget J. Vapp. Macmillan. 7s. 6 d.

كتاب مفهوم العبارة مستقيم الطريقة يتناول بالبحث أسلوباً حديثاً في معالجة انحراف من الاطفال . وقد تناول بالشرح المستفيض نظام العيادات الطبية الحديث التي أسست لفحص الشواذ من الاطفال وكيف انشأت ، وكما أفاض مؤلفاه في الاسباب خاصة وعامة ، التي تسبب الشذوذ ، وشرحن معالم الطرق التي تتخذ في علاج الطفل ليعود الى حالته السوية ، وتناولن في فصل ممتع المؤثرات الاجتماعية والمنازل ، فتمثلة التي قد يكون لها أثر حاسم في علاج الشذوذ .

والكتاب لمجموعه وبما حوى من بحوث ، وما تأنس فيه من نزعة انسانية سامية ، جدير أن يكون في يد كل من يهتم بمسائل التربية وتنشئة الطفل ، وأن يكون موضع درسه العميق .

الفاروق عمر

للدكتور محمد باشا هيكل [1]

تقدمنا في عدد أغسطس الماضي كتاب « الصديق أبو بكر » وأخذنا على عاتقه مؤلفه صنيعه في قصة « مقتل مالك بن نويرة » . ثم رأينا أن ننقد كتابه الجديد « الفاروق عمر » ونتعقب بعض ما فيه من مآخذ ، فكلفنا هذا البحث ، ونشرنا بعضه في مجلة « الكتاب » الغراء . في عددها الأول الذي صدر في أول نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، ورأينا أن ننشر باقيه في مجلة « المقتطف » الغراء ، استيفاء للبحث ، وأداء لواجب الأمانة ، وإخلاصاً في النصيحة للعلم وللقراء .

مآخذ واستدراكات

١ — زعم المؤلف في مقدمة كتابه « ج ١ ص ٨) أن عمر « رأى إعفاء من أسلم من أهل البلاد المفتوحة من الجزية ومساواتهم بالمسلمين الفاتحين ، فكان ذلك مغرياً الكثير منهم بالدخول في الاسلام ... وقد أعفاهم عمر وساواهم بالفاتحين وهو يعلم ما سيترتب على ذلك من نقص في موارد الدولة ، ومن ردّ الحكم في هذه البلاد الى أهلها . مع ذلك لم يتردد في الأمر ولم تثنه هذه الاعتبارات عنه » الى آخر ما قال .

وهذا الذي حكاه عن عمر هو حكم الاسلام في القرآن والحديث نصًّا ، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة ، ورسول الله يقول : « ليس على مسلم جزية » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عباس . انظر تفسير القرطبي (ج ٨ ص ١١٤) ونيل الاوطار للشوكاني (ج ٨ ص ٢١٩) والذي ننكره على المؤلف أن يجعل هذا من عمل عمر ورأيه وسياسته ، كأنه حكم عن اجتهادٍ منه . وهو حكم بديهي منصوص ، وكان عمر فيه متبعاً لا مجتهداً .

---

(١) جزءان — ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير — مطبعة مصر سنة ١٩٤٥

٢ — وقد أنكر المؤلف على المؤرخين المتقدمين أنه بلغ من إكبارهم لسيرة عمر « أن أضافوا اليه أموراً أدنى الى المعجزات التي خصَّ بها الانبياء ، وأن ذكروا ما لا يستطيع المؤرخ الناقد إثباته . وعمر في غير حاجة الى شيء من ذلك يضاف الى سيرته . فما تم هو به وما تمَّ في عهده ، مما يقره النقد التاريخيّ ، يقيم له في صحف التاريخ صرحاً عالياً باقياً الى الابد . ولو أن المؤرخين الاقدمين لم يضيفوا هذه الخوارق الى سيرة عمر لاغنوا من جاء بعدهم عن بذل الجهد في تمحيصها ، ولجنَّبوهم الاختلاف على مبلغ صحتها ، ولما طفَّف ذلك من قدر عمر ، ولا نقص من جلال صنعه . وقد رأيت من الخير أن أغفل من هذه الحوادث ما لا يقره العقل ولا يثبت للنقد . ثم رأيتني بعد ذلك مضطرًّا الى أن أثبت حوادثَ يتصوَّر العقل في شيء من العسر وقوعها ، ومع هذا تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر يدعو الى النزول على حكمهم فيها » ، (ج ١ ص ٩) .

هكذا يقول سعادة المؤلف . ونحن نعلم أنه ينكر كل المعجزات الكونية التي رواها المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إلحاح وإصرار ، لانه « يجري في البحث على الطريقة العلمية الحديثة ، ويكتبه بأسلوب هذا العصر » كما قال في كتابه « حياة محمد » ص ٤٧ وإن كان لم يستطع إنكار معجزات الأنبياء السابقين ، لانها مذكورة في القرآن ، كما قال في ذلك الكتاب ص ٤٥ فهو أجدر إذن أن ينكر الكرامات والخوارق التي تنسب إلى عمر وإلى غير عمر ، لانها مما « لا يقره العقل ولا يثبت للنقد » ! ولسنا نجادله في هذا ، فما في الجدال فائدة ، وما أيسرَ الانكارَ وادِّعاءَ الكذب والوضع على رواة السنة والأخبار ، أيًّا كان مبلغهم من الثقة والأمانة والصدق والضبط والتحري . وما أحكم الكلمة التي قالها له صاحبه شيخ الاسلام مصطفى أفندي صبري في كتابه الجليل « الفول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » قال في ص ٤٣ : « الطريقة العلمية التي يتبجح بها معالي المؤلف ويباهي بإتباعها في تحرير كتابه ، والتي يدعي أنه بنى عليها إنكار المعجزات ، هي الطريقة نفسها التي يدَّعي ملاحدة الغرب أنهم بنوا عليها إنكارهم لوجود الله » .

ولكنا نجد المؤلف أثبت حادثة « بارية الجبل » وسنذكرها في موضعها من هذا المقال (رقم ١٨) وما كانت رواية هذا الحادث بأصحَّ ولا بأوثق من غيره مما أنكر ، ولا بأصح ولا أوثق مما تواتر تواتراً علميًّا صحيحاً من معجزات رسول الله . ومن عجب أن يدعيَ المؤلف أن حادثة سارية من الحوادث التي « تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر » ! وأظن أن صاحبه لم يطلع على شيء مما قاله المحدِّثون والاصوليون في معنى التواتر

ودلالته النبوية، والفرق بينه وبين غيره من طرق النقل عند العلماء ! ولو اطلع على ذلك لقال شيئاً غير هذا .

٣ — وذكر المؤلف (ج ١ ص ٣٥) أن عمر « لما استخلف كان أول دعائه قوله : اللهمَّ إني غليظ فليِّني ، اللهم إني ضعيف فقوِّني ، اللهمَّ إني بخيل فسخِّني » . ثم قال : « أما ما ذكر عن بخله فسببه أنه لم يكن غنيًّا ، وأن أباه لم يكن غنيًّا » . الى آخر كلامه . وما كانت به حاجة الى هذا التكلف ، فان هذا الدعاء لا يدل على أن عمر كان بخيلا ، وما زعم ذلك له أحد قط ، وما كان الفقر سبباً للبخل أبداً ، وإنما البخل داء نفسيٌّ قد يزيده الغنى تمكناً . والمؤلف يستنبط أن عمر كان « متوسط الحال في الغنى طول حياته » ، وأكثر ما يكون الكرم في المتوسطين والفقراء . ويعيذ الله عمر من داء البخل ، ورسول الله يقول : « أيُّ داء أدوى من البخل » ، وإنما كان مثل هذا الدعاء أن يظن الرجل العالم بنفسه التقصير عن درجة الكمال ، حتى ليسمي عمله باسم درجة النقص ، رغبةً الى ربه وتواضعاً ، فيسأله أن يتمم من خلقه ما نظنه نقصاً . ولذلك لم يزعم أحد قط ، ولم يستطع المؤلف أن يزعم ، أن عمر كان ضعيفاً إذ يقول « اللهم إني ضعيف فقوِّني » بل قال : (١ : ٣٣) « ولما تدرَّج عمر من الصبا الى الشباب بدا في مظهر من القوة بذ به أقرانه » . ثم النقلُ الصحيح ثابت بأنه كان جواداً ، فقد روى ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ق ١ ص ٢١٠) عن عبد الله بن عمر قال : « ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجدَّ ولا أجودَ حتى انتهى من عمر » فهذا وغيره من أخباره وجوداته لا يدع شكًّا في أنه كان من أكرم الكرماء .

٤ — في (ج ١ ص ٣٦) : « ثم إن المبشرين بالمسيحية في ذلك العصر كانوا ذوي نشاط في الدعوة إلى دينهم والتبشير به مثل نشاطهم اليوم » . وهذه دعوى عريضة ، لا تكاد تجد دليلاً عليها . فما رأينا — على كثرة ما رأينا — في النصوص التاريخية الصحيحة أنَّ قد كان للمبشرين نشاط في مكة وما حولها حيث نشأ عمر ، كمثل نشاطهم اليوم ولا ما يقاربه ، إلاَّ أن يكون من أمثال آراء الآب لويس شيخو في كتاب « النصرانية وآدابها » . ومقاصدُ هذا الكتاب معروفة ، وما من أحد من أهل العلم والتوثق يرضى عن آرائه وتحقيقاته .

٥ — (ج ١ ص ٣٩ س ١٥) « طلحة بن عبد الله » خطأ مطبعي ، صوابه « طلحة بن عُبيد الله » .

٦ — (ج ١ ص ٨٠ — ٨٣) تمادت المؤلف في كلامه فيما كان بين عمر وخالد بن الوليد

وفي شأن مقتل مالك بن نويرة في حروب الردّة يقول مؤلف كتابه « الصديق أبو بكر » . وقد حققنا القول في ذلك في بحث مستوفى نشر في عدد شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ من مجلة المقتطف ، ورجحنا فيه بالأدلة التاريخية الصحيحة أن خالداً أمر بقتل مالك بن نويرة لإصراره على الردّة بمنع الزكاة ، وأخذ امرأته وابنها سبياً ، وأن ليس في شيء من ذلك ما يُلام عليه خالد ، لموافقته أحكام الشريعة ، وأن عمر إنما سخط على خالد أن لم يتبين وجه حجته ، وأن أبا بكر تبين معذرة خالد فبرأه ، وكان إذ ذاك وفي الأمر الذي يملك فصل القضاء فيه ، وقد قضى بالبراءة ، فلا يملك أحد بعده أن يشكك في قضائه أو يعيد النظر فيه ، لا أحدٌ ولا عمرُ نفسُه . حتى إن متمم بن نويرة جاءه في خلافته يستعديه على خالد ، لما كان يعرف من رأيه في هذه المسألة نفسها . فقال له : « ما أردت شيئاً صنعه أبو بكر » فقال متمم : قد كنت أزعم أنْ لو كنتَ مكان أبي بكر أقدتنه به . ؟ فأجابه عمر الجواب الحازم الحاسم : لو كنتُ ذاك اليوم مكاني لفعلتُ ، ولكني لا أردّ شيئاً أمضاه أبو بكر » .

وقد قلنا في ذاك المقال : « وما نظن عمر يفعل ما كان يريد لو كان مكانه ذلك اليوم . إنما هو يبين عن رأيه في أمر قد نظر إليه من جانب واحد ، هو جانب الاتهام . ولعله لو قد سمع الطرف الآخر ، طرف الدفاع ، ونظر إلى الأمر من الجانبين كما نظر إليه أبو بكر ، لانتهى إلى ما انتهى إليه حكم أبي بكر . وفي مثل هذا تختلف أنظار القضاة ويختلف اجتهاد المجتهدين ، في وزن الأدلة ، وتقدير البراهين ، فلو تكون كلمة عمر وحدها حجة على خالد ، تُثبت عليه إجراماً لم يُثبت عند الحاكم ، وقد برّأه الحاكم مما نسب إليه ، ولن تكون كلمة عمر وحدها حجة على أبي بكر ، حتى يتهم باتهاون في شأن جريمة حد الحدّ أو القصاص ، وبأنه كان يتربص في تطبيق التشريع على العامة والدهماء ، ولا يتزمت في تطبيقه على النوابغ والعظماء ! ! كفعل عامة هذا العصر ! » .

فلم يكن فعل خالد أنه تزوّج امرأة مالك بن نويرة بعد قتله زوجها ، وأنه بنى بها في عدّتها ، كما يصوّره المؤلف هنا وهناك ، تمسكاً بظواهر ألفاظ في بعض الروايات من غير رجوع إلى باقيها ، وما كان خالد ليأتي هذا المنكر الذي لا شك في حرمته ، والذي استحلاله خروجٌ من الإسلام ، وما كان لأحد من عامة المسلمين أن يقره عليه ، فضلاً عن أصحاب رسول الله ، فضلاً عن أبي بكر .

وقد حكى المؤلف هنا (ص ٨٢) رواية عن بعض المؤرخين « أن عمر كان سيّء الرأي في خالد من قبل إسلامه ، وكان سيء الرأي فيه حياته » ثم علل ذلك تعليلاً عجيباً ! قال : « ولعلّ عمر أيضاً خالد غزوة أحد وموقفه منها . وانتصار المشركين على المسلمين بمهارته

فيها ، ثم مهاجمته رسول الله قبل أن وقف عمر في وجهه وصدّه عن غرضه ؟ !! وما قلنت قط أن أحداً يقول مثل هذا القول ، فإن البديهي من قواعد الاسلام أن الاسلام يجبّ ما قبله ، وكل أصحاب رسول الله كانوا مشركين قبل أن يسلموا ، إلاّ القليل الذين كانوا صغاراً ونشؤوا على الاسلام ، وكثير من الكبار حاربوا رسول الله قبل أن يسلموا ، وكثير منهم كانوا أعداءه ، ثم تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم ، لم يعتقد من آمن منهم من قبل على من آمن منهم من بعد ، وكانوا إخواناً متناصرين ، لا أعداء متحاقدين . ولو كان لأحد أن يعتقد على خالد ما زعمه المؤلف ، لكان أول الناس أن يعتقد عليه ذلك رسول الله ثم أبو بكر ، وينزّه الله ورسوله وأبا بكر وعمر عن ذلك . وهذه مداخل ودسائس لو يحسن المؤلف الخروج منها أو يحجم عن ولوجها .

٧ — (ج ١ ص ٧٧) يروي المؤلف أن عمر « كان يذهب في تجارته الى العراق والى الشام واليمن فكان أشد حرصاً على مقابلة الأمراء والحكماء من أهل هذه البلاد ليزداد بالتحدث اليهم علماً منه على أن تزداد تجارته ربحاً فيصبح من الأغنياء » . وما أدري أين وجد المؤلف أن عمر « كان أشد حرصاً على مقابلة الأمراء والحكماء منهم ليزداد بالتحدث اليهم علماً » ؟ ! إني لأخشى أن يكون هذا خيالاً يصوّر به مصدر علم عمر وحكمته ، زعماً بأن العرب لم يكن فيهم حكمة إلاّ ما أخذوا عن غيرهم ! وعمر كان قويّ الفطرة العربية ثم أوتي العلم في الاسلام من الكتاب والسنة وتأسيه برسول الله ثم بأبي بكر .

٨ — (ج ١ ص ٩١ — ٩٣) صوّر المؤلف موقف عمر أول وقت من خلافته بعد أن دُفن أبو بكر وانطلق الى داره بعد ما انتصف الليل : « ودخل مضجعه وجعل يفكر فيما يتنفس عنه الغد ، فسيبايعه المتخلفون من بكرة النهار ليتولى أمورهم ، فيواجه منهم من رضي استخلافه كارهاً ، ثم يواجه الموقف الحربي الجليل الدقيق في العراق وفي الشام ، فماذا عسى أن يفعل ليتغلب على هذين الأمرين ، وهما بأعظم مكان من جلال الخطر في حياة الدولة الناشئة » ثم كتب صفحة ونصف صفحة عما كان يجول في خاطر عمر تلك الليلة !! وما أظن — وأنا رجل من المتحفظين في الرواية والنقل — أن مثل هذا العمل مما يجوز للمؤرخ ، وما ينبغي أن يأتي من بعده من ينقله عنه ، ظنّا أن هذا قد كان ، رواه الدكتور محمد باشا هيكل ! ! بل إني أومن أن هذا لا يجوز . ولقد كتبت بهامش نسختي من كتابه في هذا الموضع : « للمؤلف خيال قوي على الطريقة الأوربية ، فالمظنون الراجح في مثل هذا الموقف أن يفكر عمر فيما هو مقدم عليه . ولكن سياق الكلام الموهم أن هذا

حصل فعلا يستدعي أن يكون هناك نقل صحيح بذلك ، أو يكون تزيداً وافتعالاً » . وسأدع للقارىء بعد أن يحكم فيه بما يرى.

٩ — (ج ١ ص ٩١ في الحاشية) نقل المؤلف رواية عن ابن سعد أن عمر خطب في الناس خطبة بعد دفن أبي بكر . ثم ردَّ هذه الرواية بأن أبا بكر دفن بعد ما جنَّ الليل ، وأنه ليس طبيعيًا أن يخطب عمر في القوم الذين تولوا الدفن « ثم إن أكثر الناس كانوا قد أووا الى منازلهم ، فلم يكن منهم بالمسجد في هذه الساعة الا قليلون هم أهل الصفة ، لأن المسجد لم يكن يضاء في ذلك العهد » . وهذا لون من التحقيق العلمي ! ! لا عهد لنا به . فان الجزم بأنه لم يكن في المسجد في تلك الساعة إلاَّ أهل الصفة لا يكون إلاَّ عن نقل صحيح، لأنه شيء مادي لا يدرك بالعقل وحده ، ويستحيل عادةً أن يدرك بالتعليل بأن المسجد لم يكن يضاء في ذلك العهد ؛ والثابت في السنة والتاريخ أنهم كانوا يسهرون ويسمرون في المسجد ، وكانوا يصلون الفجر بغلس ، يعني في الظلام . والظن في مثل هذه الحال ، حال موت أبي بكر ودفنه ، أن يحضرها كثير من الصحابة ، إن لم يكونوا داخل بيت عائشة ، ففي المسجد خارج البيت . والخطبة التي روى ابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ١٩٧) والتي يشير اليها المؤلف ، كلمة قصيرة لا تزيد على أربعة أسطر ، فليست مما يستبعد قوله في مثل هذا المقام ، وما من دليل ينفيها ، إلاَّ أن في إسنادها جهالة ، يقول راويها حميد بن هلال: «حدَّثنا من شهد وفاة أبي بكر» وهذا إسناد منقطع يرده المحدثون ضعيفاً . وما عدا ذلك فنحن نقدنا الى الجزم بصحة تلك الخطبة ، وإنما أردنا أن نضع بين يدي القارىء مثالاً من أمثلة تحقيق المؤلف ورده من الروايات « ما لا يقره العقل ولا يثبت للنقد » !

١٠ — (ج ١ ص ٩١ في الحاشية أيضاً) عبر المؤلف عن « بيت عائشة » بكلمة « دار عائشة » وهو خطأ ، فان الدار أكبر من ذلك ، هو اسم جامع للعرصة والبناء والحجلة ، ولم تكن بيوت أزواج رسول الله تُسمى داراً ، وانما كانوا يسمونها بيوتاً .

١١ — (ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٣) تحدَّث المؤلف عما دار من جدال وحديث بين الوفد الذين أرسلهم سعد بن أبي وقاص وبين يزدجرد ، ثم قال لنا عن بعض المستشرقين أنهم ذهبوا الى « أن هذه الروايات وضعت من بعد ، إن لم يكن في جوهرها ، فعلى الأقل في تفاصيلها» وأن المستشرقين يؤيدون تقدمهم بأن المؤرخين المسلمين لا يتورَّعون عن رواية أمور هي أدنى الى الخرافة ، وذكروا رواية عن رستم فيها تطير واعتقاد بالتنجيم . ثم ذهب المؤلف يرد على المستشرقين ردًّا عنيفاً ، حتى إذا أتى لحديث النجوم قال ما نصه : «أما القول بأن حديث النجوم أدنى الى الخرافة فذلك ما لا أتعرض للخوض فيه ، فلست

عالماً بالنجوم ، وليست أعرف لذلك مبلغ ما تهدينا اليه من علم بشؤون هذه الأرض التي نعيش عليها وما يقع من الأحداث فيها . على أن كثيرين لا يزالون يؤمنون بها ويحسبون أن علمها يهديهم الى ما يغيب عن غيرهم ؟ ! وما من شك في أن التنجيم والطيرة حديث خرافة ، وأنه شيء لا يقبله العقل ، وأن الاسلام نهى عنه نهياً شديداً ، وتوعد من صدق بمثل هذه الخرافات وعيداً كبيراً . ولكن العجب الذي لا ينقضي ، أن المؤلف يأخذهم الرعب من حديث النجوم فيخشى أن يتعرض للحديث فيه ، زعماً منه أنه ليس عالماً بها و بمبلغ ما تهدي اليه من علم بالأرض وأحداثها !! ثم هو ينكر كل المعجزات الكونية لرسول الله ، وكل الخوارق المنسوبة الى عمر أو أكثرها . لا يجد في صدره من ذلك حرجاً ، ولا يتواضع فيظن بنفسه أن قد فاته علم كثير من علوم الأسانيد الاسلامية ، التي أتقنها المتقدمون وأثبتوا بها الصحيح من الأخبار ، ونفوا بها عنها ما وضع الوضاعون وما روى الضعفاء ، حتى جاءوا بالسنة بيضاء نقية . ثم هو قد وجد لنفسه عذراً فيما أحجم عنه من الكلام في النجوم أن كثيرين لا يزالون يؤمنون بها وأظنه يريد بذلك علماء الافرنج !! ولم يجد مثل ذلك العذر فيما أثبته علماء الاسلام من الأخبار المتواترة والأخبار الصحيحة ، وهو يعلم أنهم كلهم الا من شذ منهم ، لا يزالون يؤمنون بها ، ويعتقدون أن طرق الاثبات التي وصلت بها اليهم هي أدق طرق علمية لاثبات الأخبار والروايات . وأن علمها يهديهم الى مايغيب عن المستشرقين وأتباعهم .

١٢ — (ج ١ ص ١٧٥) قال المؤلف في أعقاب يوم أغوات : «وكانت نساء المسلمين يعنين بالجرحى ويمرضنهم ، ويبذلن من صنوف العناية ما يرقه عنهم وما ينسيهم ألمهم » . ولسنا ننكر عليه في هذا إلا تصويره بكلمة « الترفيه » في هذا المقام في هذا الوقت ، فان الحرب الأخيرة بين الدول أرتنا في بلادنا ، وأسمعتنا عن غيرها ما رأينا ، معاني منكرة لما يسمى « الترفيه » عن الجرحى والمرضى والأصحاء من الجيوش ، مما يقشعر له بدن كل ذي خلق وكل ذي دين ، وأشاعت بذلك فساداً لا يدري الناس ما عواقبه . وقد جعلت هذه المنكرات لكلمة « الترفيه » معنى يبادر الى ذهن كل من سمعها ، خصوصاً من الشبان . وكنا نظن بالمؤلف ، على ما نعرف من دقته في التعبير ، أن يتجاوز عن هذه الكلمة الآن ، ويترفع عن وصف نساء الصحابة والتابعين بها ، وقد آلت في أذهان الناس الى ما آلت اليه ، على تقتنا بأنه لم يرم الى هذا المعنى ، وهو في ذلك فوق الشبهة عندنا ، ولكننا لا نريد إلا الحذر والاحتياط .

١٣ — (ج ١ ص ١٩١) وصف المؤلف المدائن عاصمة مملكة الفرس في ذلك العهد وصفاً خيالياً ، مما قال فيه : « فقد جمعت من معاني الترف الشرقي أبهى صوره وأكثرها

وحيا لآلهة الفن وشياطين الشعر » . فما « آلهة الفن » هذه ؟ ! إني أرى كثيراً من الكاتبين في هذا العصر يصطنعون كلمات يأخذونها عن الأمم الأخرى ، يتزيَّدون بها ويتجملون ، يظنون أن لا بأس بها ، وفيها كل البأس وكل الشر . إن تسمية « آلهة » أخرى من دون الله كلمات وثنية ، جاء الاسلام بحربها والقضاء عليها . وما تنفع المعذرة بأن مثل هذه الكلمات إنما هي ألفاظ لا تُعتقد معانيها ودلالاتها ، فانما وضعت الألفاظ للدلالة ، ولا يطلع على خفايا القلوب إلا الله . ولا يجوز لأحد أن ينطق بمثل هذه الكلمات ، لا هزلاً ولا جدًّا ، وما أذن الله لأحد أن يقول شيئاً من ذلك (إلا من أُكره وقلبه مطمئنٌّ بالايمان) وما أظن أحداً يُكره هؤلاء الكتَّاب على اتخاذ هذه الالفاظ الوثنية ، أيًّا كان مقصدهم منها ، أو تأولهم لدلالتها (أئفكاً آلهة دون الله تريدون) . وليعلم هؤلاء وغيرهم أن الله نعى على المشركين تسميتهم آلهةً من دونه ، وما كانوا يزعمون أنهم الخالقون الرازقون ، بل كانوا يؤمنون بالله ، ويشركون بآلهتهم ، أنهم يدعونها ويعبدونها لتقرِّبهم الى الله زلفى ، كما حكى الله عنهم في القرآن . فهما يتأوَّل المتأوِّلون في تسمية آلهة من دون الله ، فلن يبعد بهم تأوُّلهم عن شيء لا يجوز أن يقوله من يدين بدين سماوي شرعه الله .

والمؤلف يؤلف كتابه في سيرة عمر ، ويتمدَّح بأعمال عمر ، ويرفع من شأن عمر ، وأنا أوقن أن لو قد سمع هذه الكلمة عمر ، لكان له معه شأن أيّ شأن ، نسأل الله العصمة والتوفيق .

١٤ — (ج ١ ص ٢٠٥) يقول المؤلف : « وكان الناس يجتمعون بسعد في قصر كسرى ، فيتحدَّث سعد الى ذوي العلم منهم بماضي هذه البلاد ، ويذكرون أياماً سلفت كانت فيها مقر حضارة العالم » . وهذا نقل لم أجده فيما بين يديَّ من المراجع . وأخشى ، بل أرجح ، أن يكون خيالا لا حقيقة له ، لا يكون من عالم يتحرى الحقائق في نقله .

١٥ — (ج ١ ص ٢٥٨ — ٢٥٩) قال المؤلف : « يذهب بعض المستشرقين الى أن عمر إنما اعتذر عن الصلاة بكنيسة القيامة لما كان بها من صور وتماثيل » وقد ذهب يناقش هذا القول ، ويزعم أنه غير صحيح ، بل ذهب يجرؤ على النبيا ، ويدعي أن الصلاة إلى الصور والتماثيل لا بأس بها ، بل ذهب يتقوَّل على رسول الله وعلى الذين اتبعوه ، ثم على الاسلام ، بل أدرى على ذلك أن كاد يبيح الوثنية صريحاً ، بتحليل قولا يشبه وحدة الوجود . وما هو إلا مذهب ينتهي بقائليه إلى إنكار وجود الله ! ! قال ما نصه : « وما كان لمحمد والذين اتبعوه ألا يصلوا بمكان فيه صور أو تماثيل والاسلام إيمان بالله ، والأعمال فيه بالنيات ، فمن صدَّق إيمانه وخلص لله وجهه فأينما ولّى فثَمَّ

وجه الله . وإنما حطم محمد الأوثان والأصنام حول الكعبة وفي جوفها يوم فتح مكة حتى يكون بيت الله حراماً على كل دين إلا على الدين الذي أوحاه الله إلى نبيه ببينات من الهدى والفرقان ، كي لا تذكر هذه الأصنامُ والأوثانُ أحداً بجاهليته فيثور في نفسه إليها حنين. أما الذين صفت قلوبهم لله وتطهرت نفوسهم من كل عبادة إلا عبادته جلّ شأنه فأولئك لا خوف عليهم أينما صلّوا ، وأولئك يرون وجه الله في كل خلقه ، جلّ ثناؤهُ وتبارك أسماؤه ! » هكذا قال ، حتى علامة التعجب وضعت في أصل الكتاب . ونعوذ بالله من حكاية هذا القول ، لولا الضرورة إلى التحذير منه ما حكيناه . وكل مسلم يعلم أنه لا تجوز الصلاة إلى التماثيل وإلى ما يوهم عبادة غير الله . والذي أراد أن ينفيه عن عمر قد صحّ عنه وعن غيره ، ففي صحيح البخاري (ج ١ ص ٤٤٣ — ٤٤٤ من فتح الباري طبعة بولاق) « قال عمر : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور . وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل » . فلا موضع لما انتحله المؤلف من رد الرواية عن عمر برأيه وهواه .

ويخيّل إليّ أن للمؤلف في الوثنية رأياً خاصاً ، لا يقره عليه أحد ، يرجعها إلى عهد الجاهلية وآراء الجاهلية ، وقد جاء القرآن بحربها وهدمها . فإن المؤلف عاد الى مثل هذا المعنى عند الكلام على فتح مصر (ج ٢ ص ٧٩) قال : « فالتوجّه الديني أصيل في الشعب المصري بحكم طبيعته . كذلك كان شأنه في عهود الفراعنة ، وكذلك ظلّ شأنه على القرون . ولعلّ بساطة عقيدته ، مع تغير الأديان التي دان بها ، كانت ذات أثر في تمسكه بمذهبه ، فهو موحّد من أقدم العصور ، وهو على توحيده يشعر بأن الإله الخالق المنعم جلّ شأنه أعظم من أن يسمو سواد الناس الى الاتصال بذاته وإن تطهرت قلوبهم ، فلا بدّ من زلفى تقرّبهم اليه ، وتحلّهم منه محل الرضا » ! ! فإن لم يكن هذا تمجيداً للوثنية ودعوة اليها ، فغيرٌ الناس أن يلفوا عقولهم ! ! وأين ما جاء به موسى من التوحيد في عصر الفراعنة ، والكفر بألوهيتهم وعما كانوا يعبدون من دون الله ؟ ! وإن الله يقول : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار) الآية ٣ من سورة الزمر ، ويقول تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الآية ١٠٦ من سورة يوسف .

وليت المؤلف لم يتقحم مثل هذه المآزق ، أو سأل عنها من يرشده الى وجه الحق فيها ، أو اجتهد في البحث عنها في مصادرها واصطنع الأناة والحكمة في اجتهاده !! ليته ليته .

١٦ — (ج ١ ص ٢٩١ س ٩) «أمراء الأنصار» خطأ مطبعي، صوابه «أمراء الأمصار» كما هو واضح.

١٧ — يقول المؤلف (ج ١ ص ٣٠٠): «فأول ما يقضي به الإيمان الصحيح ألاّ يهاب الجندي الموت، وأن يقدم عليه مغتبطاً به، فإن استشهد في سبيل الله وفي سبيل الوطن وفي سبيل القضية التي ينصرها». وقال أيضاً (ج ٢ ص ٢٢٠): «وما ضر أحدهم أن يقتل في سبيل الله وفي سبيل الامبراطورية الاسلامية». وهذا تعبير مؤلم، وفي نسبته الى «الايمان الصحيح» مغالطة، فإن الاسلام لا يعرف الاستشهاد إلاّ أن يكون في سبيل الله فقط، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي موسى الأشعري قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

١٨ — (ج ٢ ص ٤٩ — ٥١) نقل المؤلف عن الطبري قصة فتح فسا ودرابجرد والطبري ذكر القصة بروايتين (ج ٥ ص ٥ — ٦) فأخذ المؤلف إحدى الروايتين وبقية الاخرى، وأعرض عن صدرها، ليتم له تأويله الذي يبغي. ففي الرواية الأولى أن عمر أُريَ في المنام خطر موقف المسلمين وأنهم إن اعتدوا الى الجبل انتصروا، فنادى في الناس «الصلاة جامعة» فجمعهم في الوقت الذي رآه في نومه وقتاً للوقعة وأخبر الناس بما أُريَ، ثم قال: «يا سارية الجبلَ الجبلَ» ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنوداً ولعلّ بعضها أن يبلغهم» هذا ملخص الرواية الأولى، ساقها المؤلف مفصلة في قليل من التحوير. والرواية الأخرى: «كان عمر قد بعث سارية بن زُنيم الدئلي إلى فسا ودرابجرد فحاصرهم، ثم إنهم تداعوا فأصحروا له وكثروه فأتوه من كل جانب، فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعة: يا سارية بن زنيم الجبلَ الجبلَ، ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل إن لجؤوا اليه لم يؤتوا إلاّ من وجه واحد، فلجؤوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم» ثم ذكرت الرواية ما أصابوا من المغانم ومسير رسول سارية الى عمر وعوده الى البصرة، وأن أهل المدينة قد كانوا سألوه: «عن سارية وعن الفتح، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة؟ فقال: نعم سمعنا «يا سارية الجبل» وقد كدنا نهلك: فلجأنا اليه ففتح الله علينا». وقد أعرض المؤلف عن هذه الرواية واقتبس منها حديث الغنيمة وما أوصل منها الى عمر وعاد رسول سارية معه، فضمه الى الرواية الأولى بنصه. ثم ذكر سؤال أهل المدينة عن سارية وعن الفتح وجوابه كأنه رواية أخرى. فهذه هي القصة التي رأى المؤلف، فيما نقلناه عنه آنفاً (رقم ٢)، أن يثبتها

من روايات الخوارق ، لأنه « تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر يضطر الى النزول على حكمهم فيها » !! وهي رواية من روايات التاريخ ، إسنادها لا يكاد يصل الى الصحة ، لانقطاع في إسنادها الذين رواها بهما الطبري ، فضلاً عن أن يتضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر ! ! ولا يبعد أن تصح فما ينكر الخوارق إذا صحّت إلا من ينكر ما وراء المادة ، ومن ينكر كل غيب لا يصل اليه حسّه ، أو لا يأتيه خبره الا عن يثق بهم من الأجانب .

١٩ — (ج ٢ ص ٥٩) ذكر المؤلف « دائرة المعارف البريطانية » باسمها الافرنجي مرسوماً بحروف عربية « الانسيكلوبيديا بريتانيكا » وما كان به حاجة الى هذا التكلف والاغراب ، فان أسماء الكتب تترجم الى ما يقابل معانيها في اللغات الأخرى غالباً . وقد ترجم هذا الاسم وعرف بين قراء العربية وهو أقرب إلى إفهامهم أن يذكر اسمها المترجم الذي عرفت به .

٢٠ — (ج ٢ ص ٨٤) تحدّث المؤلف عن إسلام عمرو بن العاص ، فلم يجد له إماماً يقلده غير العقّاد ، في كتابه الذي ألفه عن عمرو بن العاص في سلسلة « أعلام الإسلام » فانه زعم أن عمراً كانت نظرته إلى الدنيا نظرة عملية وأن مناط الرجحان في تلك النظرة الأخذ بالأحوط والأنفع ، « حتى ليكاد الأحوط والأنفع أن يكون عنده مقياساً للحق أو لصحة الأشياء » ثم ذهب يضرب على هذه النغمة ويحكي بعض الروايات يتأوّلها عليها (ص ٢٧ — ٢٨ و ٥٧ — ٦١) فنقل عنه معارضة المؤلف هنا مناقشة بين عمرو وبين فتى من قريش ثم قال : « ولئن صحت تلك الرواية لتكوننّ بائنة في الدلالة على اتجاه عمرو في تفكيره ، وعلى أنه كان يؤمن بنظرية المنفعة إيماناً قوياً » . ومعاذ الله أن نظن ذلك بأصحاب رسول الله ، وخاصة بمثل عمرو بن العاص . وقد نقض المؤلف على نفسه ما قلّده فيه العقّاد ، فصرّح بعد بأن عمراً « بادر إلى الاسلام عن بيّنة وإيمان ، لا عن خوف ولا عن إذعان » . فما ندري لم قال من قبل ما قال ، ولم هذا الاضطراب ؟ !

٢١ — (ج ٢ ص ٢٠٣ — ٢٠٤) نسب المؤلف لعمر أن تأسّيه بالرسول لم يثنه أن يفرق بين الثابت على الزمان من سنته صلى الله عليه وسلم ، وبين ما قضت به أحداث الوقت ، فمن المستطاع مراجعته وإعادة النظر فيه ، من غير أن يكون ذلك إنكاراً له ، اقتناعاً بأن رسول الله لو امتدّ به الأجل لراجعه وأعاد النظر فيه » . وهذه نظرية خطيرة ، لم ينسبها أحد قط لعمر ، ويبرىء الله عمر من التهمة بها فهي ليست إلا مخالفة للسنة بالرأي والهوى ، وما هي إلا نسخ شيء من السنة بعد وفاة رسول الله ، وما قال هذا أحد قط ، ولعل للمؤلف رأياً يحوم حوله ، لا يكاد يصرح به . فاني أراه قال في أواخر الكتاب (ص ٣٢٢) : « حق لعمر أن يُدفن مع صاحبيه ، ليَنعم بجوارهم ، وتطمئن روحه إلى أنه سار على

عنهما ، وأنه أتمّ على الأرض ما قضى الله أن يتم حين أوحى إلى نبيه رسالة السماء . وقد أتمّ عمر هذه الرسالة ، ! ! ولست أدري ، أهو يعتقد حقًّا أن عمر أتمّ على الأرض هذه الرسالة ، أم هو يرى أن شؤون النبوة والرسالة كبعض ما يعرف من شؤون الدولة والسلطان ، أم هو يلقي الكلام على عواهنه ، لا يلقي له بالا ؟ ! اللهمّ غفراً .

واتبعْ — يا سيدي — بعضَ ما قال إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي في وجوب اتباع سنة رسول الله على كل أحد ، وهو قولُ كافة أهل العلم : « وكلُّ ما سَنَّ فقد ألزمنا الله اتّباعَه ، وجعل في اتباعه طاعتَه ، وفي العُنود عن اتباعها معصيتَه التي لم يَعْذِرْ بها خلقاً ، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً » . (الفقرة ٢٩٤ من كتاب الرسالة للشافعي بتحقيقنا) . وقال أيضاً في الفقرة ٣٢٦ : « فيما وصفتُ من فرض الله على الناس اتباع أمر رسول الله : دليلٌ على أن سنة رسول الله أنا قبلت عن الله ، فمن اتبعها فبكتاب الله اتبعها . ولا نجد خبراً ألزمه الله خلقه نصًّا بيناً إلاّ كتابه ثم سنّة نبيه . فإذا كانت السنةُ كما وصفت ، لا شبه لها من قول خلق الله ، لم يجز أن ينسخها إلاّ مثلها ، ولا مثل لها غير سنة رسول الله ، لأن الله لم يجعل لآدمي بعده ما جعل له ، بل فرض على خلقه اتّباعه ، فألزمهم أمره . فالخلق كلهم له تبع ، ولا يكون لتابع أن يخالف ما فرض عليه اتباعه . ومن وجب عليه اتباع سنة رسول الله لم يكن له خلافها ، ولم يقم مقام أن ينسخ شيئاً منها » . أي لا عمر ولا غير عمر ، لا أصغر من ذلك ولا أكبر . وقال أيضاً في الفقرة ٥٩٩ فيما يقع من أقوال بعض العلماء مخالفاً لسنة : « وليس ذلك لأحد ، ولكن قد يجهل الرجل السنّة فيكون له قول يخالفها ، لا أنه عمد خلافها . وقد يغفل المرء ويخطىء في التأويل » . وقال أيضاً في الفقرة ٩٠٥ : « وإذا ثبت عن رسول الله الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره . بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمراً يخالف أمره » . وكان عمر يقضي في دية أصابع اليد بالتفريق بينها ، فجعل للإبهام ١٥ من الإبل ، وللتي تليها ١٠ وللوسطى ١٠ وللتي تلي الخنصر ٩ وللخنصر ٦ ثم ثبت عند أهل العلم أن رسول الله قال : « وفي كل إصبع مما هنالك عشر من الإبل » فأخذوا به كلهم وتركوا قول عمر ، فقال الشافعي في ذلك في الفقرتين ١١٦٧ ، ١١٦٨ : « ولم يقل المسلمون قد عمل فينا عمر بخلاف هذا بين المهاجرين والأنصار ، ولم تذكروا أنتم أن عندكم خلافهُ ولا غيركم ، بل صاروا الى ما وجب عليهم ، من قبول الخبر عن رسول الله ، وترك كل عمل خالفه . ولو بلغ عمر هذا صار اليه ، إن شاء الله ، بتقواه لله ، وتأديته الواجب عليه في اتباع امر رسول الله ، وعلمه ، وبأنّ ليس لأحد مع رسول الله أمرٌ ، وأن

طاعة الله في اتباع أمر رسول الله ». وسيرة عمر في السنة معروفة ، كان يجتهد فيما يعرض له ، مما ليس فيه نص كتاب ولا يعلم فيه سنة ، فاذا بلغته سنة رسول الله عدل عن رأيه ، واتبع السنة ، بل هو كان أشدّ اتباعاً للسنة وعسكاً بها ، في كل شأنه . وأقوى حجة في ذلك موقفه حين مقتله ، إذ يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة ، قال له ابنه عبد الله بن عمر : « إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لكم ، زعموا أنك غير مستخلف ، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه فقال : إن الله عزّ وجل يحفظ دينه ، وإني إنْ لا أستخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وإنْ أستخلف فان أبا بكر قد استخلفَ . قال : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمتُ أنه لم يكن يعدلُ برسول الله أحداً ، وأنه غير مستخلف ». وهذا حديث صحيح جدًّا ، رواه الامام أحمد في مسنده (ج ١ ص ٤٧) ورواه أيضاً مسلم في صحيحه (ج ٢ ص ٨٠ — ٨١) وأبو داود في السنن (ج ٣ ص ٩٣ — ٩٤ من شرح عون المعبود) ورواه أيضاً البخاري مختصراً (ج ٩ ص ٨١ من الطبعة السلطانية) . فهذا عمله كما ترى في شيء سلميّ حكوميّ ، لم يستخلف رسول الله ، ولكنه لم ينهَ عن الاستخلاف ، واستخلف أبو بكر ، وهو الصاحب الأول ، والوزير الأول ، والخليفة الأول ، وهو كان أعلم برسول الله من عمر ومن غير عمر من الصحابة ، وأقرّه عمر وأقرّه المسلمون جميعاً فكان اتفاقاً منهم على أن الاستخلاف جائز غير ممنوع ، ومع ذلك فان عمر أبى إلاّ أن يتبع فعل رسول الله في ترك الاستخلاف ، وعرف ذلك منه ابنه عبد الله ، وهو أعرف الناس به ، « فوالله ما هو إلاّ أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله أحداً » فهذا هو عمر على حقيقته « بتقواه لله ، وتأديته الواجبَ عليه في اتباع أمر رسول الله ، وعمله » كما وصفه الشافعيّ حقًّا ، لا على الصفة المنكرة التي اخترعها المؤلف : أنه يلعبُ بالسنة برأيه ، فيفرقُ بين الثابت على الزمن وبين ما قضت به أحداث الوقت ، فيراجعه ويعيد النظر فيه ، توهماً من المؤلف — لا اقتناعاً من عمر — « أن رسول الله لو امتدّ به الأجل لراجعه وأعاد النظر فيه » ! ! وهذا هو عمر التابع المطيع والخادم الأمين ، ليس كما يصوّره المؤلف ، مخالفاً كلّ نصّ وكل معقول ، أنه أتمّ على الأرض هذه الرسالة ! ! وعمر يعلم أنّ الله أنزل على رسوله في يوم عيد ، يوم عرفة يوم الجمعة في عرفة (اليوم أكملتُ لكم دينكم).

٢٢ — (ج ٢ ص ٢٢٢) يتحدّث المؤلف عن عمر يقول : « ولقد كان يرى نفسه مسؤولاً أمام ضميره وأمام الله ». وهذا تعبير إفرنجيّ مستحدث ، ومعنى باطل لا يعرفه

عمر ولا يعرفه الاسلام . ، فانما الذي يدين الناس ويسألهم عن أعمالهم ، والذي يجب عليهم أن يتقوه ويخشوه هو الله وحده .

٢٣—(ج ٢ ص ٢٣٦) يقول المؤلف في شأن تدوين الدواوين : « فقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتبون له الكتب والرسائل . وكانت هذه الكتب تحفظ صورها وتحفظ الردود عليها في داره بالمدينة » . وهذا نقل طريف ، لا أذكر أني رأيته أو سمعت به قط ، فعسى أن نستفيد من علم المؤلف وسعة اطلاعه ، فيرشدنا إلى المصدر الذي نقله منه .

٢٤ — (ج ٢ ص ٢٤٠) في إشارته الى عبد المطلب بن هاشم قال : « وتذكر كيف أدى نذره » . وما نظن هذا التعبير دقيقاً ، فان المعروف في كلام العرب أن يقال « وفى بنذره » أو « أوفى بنذره » أو نحو ذلك .

٢٥ — تحدث المؤلف عن صور النكاح في الجاهلية ، فذكر منها أن يتزوج الرجل امرأة فيذرها في قومها ، ينزل عندها في رحلته . وقد تعقبناه في ذلك في المقال الذي نشر في مجلة «الكتاب» . ثم عقب المؤلف كلامه السابق بقوله : « ويذهب بعض المؤرخين الى أن هذا الزواج أصل زواج المتعة الذي أبيح في صدر الاسلام الى أن حرّمه عمر » . ولم يكن شيء من هذا ، ولم يقل أحد من المؤرخين ما قال . بل نكاح المتعة كان أحد صور النكاح في الجاهلية ، وقد أبيح في صدر الاسلام ثم نسخ وثبت الأمر على تحريمه . وليس يصح ادعاء المؤلف أنه بقي مباحاً إلى أن حرّمه عمر ، إلا على نظريته التي أنكرناها عليه : أن عمر كان يعيد النظر في سنة رسول الله ، وأنه أتمّ الرسالة ! ! وأما الثابت عند أهل العلم : « أن عمر لم ينه عنه اجتهاداً ، وإنما نهى عنه استناداً إلى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم » كما قال الحافظ ابن حجر . وانظر فتح الباري (ج ٩ ص ١٤٣ — ١٥١) . ولم يكن عمر ولا غيره يملك أن يحرّم الحلال ، ولم يجعل الله ذلك لأحد من خلقه بعد رسول الله .

٢٦ — (ج ٢ ص ٢٥٨) استعمل المؤلف فعل « تعمق » متعدياً بنفسه وهو فعل لازم ، لا شك في ذلك ولا خلاف . وفي اللسان : عمّق النظر في الأمور تعميقاً ، وتعمق في كلامه أي تنطّع ، وتعمق في الأمر : تنوّق فيه فهو متعمق » . والذي ابتدع هذا الخطأ ولهج به وأشاعه ، هو الدكتور طه حسين بك ، فقلده المؤلف وغيره من الكتّاب ، عن غير تدبر ولا بحث .

احمد محمد شاكر

رعاية الامومة والطفولة(١)

الجهود التي تبذلها وزارة الصحة في هذه السبيل

اختصَّ قسم رعاية الأمومة والطفولة بالاشراف على أمهات وأطفال المحافظات وعواصم المديريات ومراكزها . أما القرى فمن اختصاص مصلحة الصحة القروية .

ان الجهل والفقر وسوء المسكن وكثرة الأطفال عند الفقراء وقلة المولدات وزيادة المتعطلين والضعف الخلقي والأمراض المعدية وسوء استخدام الرضاعة وتفشي السل والخرافات ، أوجد جبهة مستعصية على العلاج إلا بالمجهود الجبَّار الذي يتناسب مع خطورتها .

وهذا ما حدا بنا لشرح الجهود التي تبذلها الوزارة في سبيل رعاية الأمومة والطفولة .

وتتلخص هذه الجهود في الآتي :

أولاً — منع زيادة وفيات الأطفال — هذا الموضوع متشعب كثير المشاكل من الناحيتين الصحية والثقافية متداخل بعضه في بعض عسير تفرقتها أو تجزئتها ، ولا يمكن أن تنهض الناحية الصحية منفردة بهذا العبء كله دون أن تشد أزرها الناحيتان الاقتصادية والثقافية .

ويبلغ متوسط مواليد القطر في العام ٦٥٠ ألفاً ، ووفياته ٤٣٠ ألف منهم ٢٤٠ ألف طفل . والأطفال الذين تقل سنهم عن الخمس سنوات هم أكثر من نصف وفيات القطر طفلة بحيث يمكن اعتبار مشكلتهم وحدها بمثابة نصف المشاكل الصحية والاجتماعية التي يجب العناية بها في هذه البلاد .

وهذه الوفيات على كثرتها لا تدل على سلامة الباقين بل تشير الى تفشي الأمراض بينهم لأن الأطفال المرضى لا يمكن أن ينتج عنهم غير شعب سقيم .

وعلاج هذه المشكلة القومية يتلخص في : —

١ — تعميم مراكز رعاية الأمومة والطفولة بمعدل مركز لكل ١٥ الف من السكان

٢ — زيادة المراقبة على أعمال الدايات ورفع مستواهنَّ الثقافي

---

(١) محاضرة ألقاها الدكتور حسن كامل بك مدير رعاية الامومة والطفولة بوزارة الصحة صباح ١٢ — ١١ — ١٩٤٥ بمدرج الحكمة في المؤتمر الطبي هذا العام

٣ — تخريج أكبر عدد ممكن من مساعدات المولدات الزائرات الصحيات
٤ — العناية بالنقطاء
٥ — سن تشريع لحماية الأطفال من الاهمال أو تشغيلهم في سن مبكر أو سوء تغذيتهم
٦ — انشاء دور كفالة للعناية بالأطفال أبناء العاملات او اليائسات أو الخادمات أو غيرهن ممن يتحتم عليهن بحكم مهنتهن ترك أطفالهن.

ثانياً — رفع المستوى الصحي والاجتماعي لاخراج جيل سليم قوي

ان بعض الأمراض الاجتماعية تنتقل بالوراثة كالزهري وبعضها عن طريق البيئة كالدرن الرئوي وهذه الامراض خطرة فتاكة تذيب أبناء الأمة وتضعف أجسامهم وعقولهم وتقتل الأجنة وتقصر الاجل وتحدث التشوهات والشلل والجنون — وقد هبطت نسبة الاصابات بالزهري ببعض مراكز رعاية الأمومة والطفولة من ١٦ في المائة إلى ٣ في المائة نتيجة علاجهن بها.

ومما لاريب فيه أن للزهري دخلاً كبيراً في ارتفاع نسبة الوفيات في المملكة المصرية. وقد بلغت نسبة حوادث الاجهاض بين الحوامل بالزهري في إحدى عيادات الأمراض الجلدية بالقاهرة حديثاً ٤١ في المائة. ونسبة الأطفال المولودين موتى ٢٦ في المائة. ونسبة الأطفال الذين يعالجون من زهري ورائي ٢٤ في المائة. اما السيلان فخطره يظهر جليًّا في أنه كثيراً ما يسبب العقم لدى البالغين والعمى عند الاطفال حديثي الولادة — أما السل فمرض عائلي غالباً وقدّر عدد المسولين بالمملكة المصرية بربع مليون مصاب يموت عشرهم سنويًّا. والأمراض العقلية تنتقل بالوراثة إلى الأبناء والاحفاد.

كل هذه الأمراض تنتقل كما ذكرنا بالوراثة أو بالبيئة أي أنها أمراض عائلية يمكن إيقافها بل ومنعها بمعرفة مراكز رعاية الأمومة والطفولة إذا اكتملت عدة وعدداً. وقد تكون تلك المراكز السلاح الاساسي لذلك فيليها أهمية مكاتب الكشف على الراغبين في الزواج ومراكز علاج الامراض السرية.

فقد بلغ تعداد حالات الزهري الوراثي التي عالجها قسم رعاية الأمومة والطفولة بمراكزه عام ١٩٤٤، ٩٣٤٧، وحالات الأمراض الجلدية ٨٨٦٧٥، وعينات الدم للفحص بطريقة واسرمان ٤٥٦٢٢، وعدد من تمّ علاجهم ضد الزهري من الأطفال ١٤١٨ وهو مجهود عظيم، ننيء بالنسبة لحالة البلد الصحية.

ويتطلب الحمل عند الامهات عناية كبيرة حتى يقلل من مضاعفات الولادة لدرجة محسوسة. وهذه العناية من أعظم الاعمال التي تقوم بها مراكز رعاية الأمومة والطفولة بالقطر.

ويكفي أن نذكر هنا أن تعداد الحوامل القديمة اللاتي ترددن على مراكز رعاية الطفل سنة ١٩٤٤ بلغ ٣٦٩٥١٩ كما بلغ تعداد الحوامل الجديدة ٩٥٩٦٢

وتشمل العناية بالوالدات أثناء الوضع مكاناً كبيراً من اهتمام القسم فقد بلغ تعداد الولادات التي قامت بها مراكز رعاية الطفل سنة ١٩٤٤ — ٨٣٢١٥ كما بلغت تعداد الولادات التي أحيلت على المستشفيات بمعرفة تلك المراكز ١٥٢٧ ولادة .

وهذه الأعداد على ضخامتها لا تزال ضئيلة بالنسبة لما يجب أن تكون عليه إذا ما عممت مراكز رعاية الطفل بأنحاء المملكة على أساس مركز لكل ١٥ ألف نسمة على الأقل ، ذلك لأن تعداد الأهالي المطلوب من قسم رعاية الطفل الاشراف عليهم هو ٢٠٠ر٨٥٢ ر ٤ نسمة ، متوسط الولادات سنوياً بينهم هو ٩٤٠ ر ١٨٩ .

وبمناسبة النجاح الذي أسفرت عنه التجربة التي عملت بمراكز رعاية الطفل الحالية من ايجاد بعض أسرة بها مستعدة لاستقبال من يأتينَّ المخاض أثناء زيارتهنَّ المراكز أو الحاملات الفقيرات ، أو من ليس لهنَّ عائل يرعى شئونهنَّ أو من يحضرنَ من جهات نائية وتتطلب حالتهنَّ الملاحظة أثناء الولادة والنفاس ، أو من كانت منازلهنَّ لا تليق صحياً للولادة بها . بدأت الوزارة تعميم الأقسام الداخلية بالمراكز وذلك بايجاد ستة أسرة للولادة على الأقل ولو بالمراكز الرئيسية لتستطيع اداء هذه الرسالة ولتكون نماذج عملية للحوامل والأمهات

أما رعاية الطفل بعد الولادة فقائمة على القواعد الصحية العلمية وأصبحت نتائجها ملموسة فقلت نسبة وفيات الأطفال في البلاد التي تقوم بالخدمة فيها مراكز رعاية الطفل والمنتظر تعميم تلك المراكز بالقطر فتقل هذه النسبة تدريجياً كما يزداد تعداد السكان بنفس النسبة العكسية .

وقد أدخلت على المراكز المذكورة أعمال ساعدت على تحقيق هذه الأمنية الى حدٍ كبير . إذ لا يخفى ان اللبن المجفف ومنع توالد الذباب وتحسين المسكن وتوفير الكساء كلها عوامل أساسية في الاقلال من الوفيات — فمن اللبن المجفف تقوم مراكز رعاية الطفل بتوزيعه على الأخص في أشهر الصيف منعاً من تلوث أغذية الطفل وقتئذ .

وفوق ذلك فان الوزارة توزع ٧ كيلو لبناً طبياً مغنياً يومياً في كل مركز على الأمهات والأطفال الضعفاء من سوء التغذية فقلت مقاومتهم للأمراض . وقد أثبتت هذه العملية بتحسن واضح من حيث الوزن والصحة العامة إلاَّ أن الكمية المصرفة يجب مضاعفتها تمشياً مع حالة الفقر المتفشية وهو ما وعدت الوزارة به

ولما كان الملبس المناسب ضروري للأطفال لأنه يقيهم شر البرد ويمنع عنهم الالتهابات

الرئوية فان الوزارة توزع في بعض المناسبات السعيدة كأعياد حضرة صاحب الجلالة الملك وسمو الأميرة فريال بعضاً من هذا الكساء لمن يستحقونه . وهذا القدر يجب أن يزاد كثيراً حتى تتمكن المراكز من سد هذا النقص لصيقة الأطفال الفقيرة جداً ، عراة الأجسام خماص البطون .

وأما السكساح المنتشر بين الأطفال فيعالج بشتى الوسائل كالأشعة فوق البنفسجية . وقد أنشأت الوزارة بضع أجهزة لهذا الغرض على أن تعمم مستقبلا في جميع المراكز .

وتساهم مراكز رعاية الطفل في موضوع تحسين المسكن بالارشاد والنصيحة . والثابت ان عدم وجود المنافذ الكافية وازدحام المساكن المتلاصقة وضيق ساحاتها القذرة التي لا تتخللها أشعة الشمس بل وضوء النهار فضلاً عما يحيطها من سماد وبرك ، كل هذه أسباب تعرض الطفل الى شتى الأمراض المعدية المعروفة .

أما ناحية التحصين ضد الأمراض فان رعاية الأمومة والطفولة سائرة سيراً حسناً من حيث التطعيم ضد الجدري والتحصين ضد الدفتريا وغيرها من الأمراض المعدية الأخرى كلما دعت الظروف .

وقد بلغ عدد من تطعم ضد الجدري في عام ١٩٤٤ — ٢٤٨٧٠ طفلاً . ومن تطعم ضد الدفتريا ٢٠٦٢٤ طفلاً . والمجهود لا بأس به وهو يساعد على منع انتشار الأوبئة .

وهناك مشاريع صحية اجتماعية تساعد على إخراج جيل سليم قوي هي محل عناية وزارة الصحة تتلخص فيما يلي : —

أولاً — ناحية الأم .

١ — الاكثار من تعميم مراكز رعاية الأمومة والطفولة حتى تتمكن كل حامل من الحصول على داية متفقهة أو مساعدة مولدة لتوليدها .

٢ — العمل على امكان الحصول على مساعدة طبيب اخصائي للفحص وقت الحمل وتوجيه الحالة التي تتطلبها في الوضع والنفاس .

٣ — توفير أسرّة للولادة بمراكز رعاية الطفل .

٤ — الاستعانة بمستشفى ولادة مجاور .

٥ — الاستعانة بالمعامل وأجهزة الأشعة وغير ذلك كلما اقتضت ظروف الحمل .

٦ — اعطاء أغذية مناسبة للحوامل بالمصانع ومنحهن الاجازة الكافية قبل الولادة وبعدها فالمطلوب الآن جيل لا يملأ مستشفيات ولا تفترسه أمراض ، بل جيل يقاوم المرض . جيل نشيط . جيل كامل من كل وجهة .

ثانياً — وهناك فوق ما ذكر وجهات أخرى اصلاحية لرعاية الطفل تتلخص فيما يلي : —
١ — مكاتب الكشف على الراغبين في الزواج . ٢ — مشاريع لتحسين صحة الأطفال الفقراء كالمصحات الوقائية . ٣ — انشاء مدارس للشواذ . ٤ — السعي في الاكثار من متنزهات الأطفال . ٥ — استصدار قوانين لحماية الأطفال كقانون سلب الولاية . ٦ — الاكثار من دور الحضانة بجوار المصانع . ٧ — انشاء المضايف الجانية على سواحل البحر في فصل الصيف ترحل اليها على دفعات الأطفال والأمهات من مترددات مراكز رعاية الطفل ممن هم أكثر حاجة اليها بطريق المجان وعلى نفقة الحكومة في الانتقال والاقامة .

ثالثاً — مشتملات مركز رعاية طفل حديث : يفضل القسم أن تقوم وزارة الصحة بانشاء مراكز رعاية الطفل على نفقتها حتى تصبح كلها حكومية ومنشأة على النمط الصحي السليم وفيما يلي بيان بوظائف مركز رعاية طفل حديث :

١ — طبيب أول درجة خامسة	٦ مساعدات مولدات زائرات
١ — طبيب ثان درجة سادسة	ساعي
١ — صيدلي درجة سادسة فرعية	بواب
١ — كاتبة درجة ثامنة فرعية	غسالة
٢ — مولدة درجة سابعة فرعية	٦ ممرضات

ويشترط ان يكون بكل مركز جهاز للاشعة فوق بنفسجية وممارض للاطفال (أغذية ملابس حمامات — ... الخ) وغرفة محاضرات تحوي جهازاً سينمائياً لعرض الأفلام الثقافية وحديقة صغيرة للاطفال ويلحق بكل مركز حمامات ومغاسل للترددات وأطفالهن .

رابعاً — رفع المستوى الثقافي بين المساعدات والدايات : تعني الوزارة الآن بهذه الناحية وهي تبحث موضوع تنظيم مدارس التوليد والتمريض المختلفة بالوزارة الى معهد واحد على غرار المعهد الصحي لتخريج موظفات لشغل وظائف التوليد والتمريض المختلفة بأقسام الوزارة التي تعهد بها هذه المهمات وهي (الصحة القروية — الأمراض العقلية — المستشفيات رعاية الطفل — مستشفيات الحميات — صحة مصر — الأمراض الصدرية — الأمراض التناسلية — الرمد)

ووضع برنامج موحد شامل ولائحة لتنظيم الدراسة بالمعهد المقترح انشاؤه

٧ — ارسال مساعدات مختصة للتوافس في منازلهن بضع ساعات يومياً في الغسيل والطهي بدون أجر على حساب المركز (هو مفيد للمساعدات المنزلية)

٨ — الاحتفاظ بقائمة من الأمهات المترددات اللواتي فقدن أطفالهن ويرغبن في

الإرضاع بأجر يتمكن الجمهور من الاستعانة بهن في الحالات عند الحاجة

ثانياً : الطفل — لا تتوفر رعاية الطفل في أمة إلا بتوفر الشروط الآتية أو قل الوصايا الاثني عشرة أو قانون رعاية الطفل

١ — يجب أن يولد الطفل ولادة طبيعية خالياً من مرض وراثي

٢ — يجب أن يتوفر للطفل بيئة صالحة ووسط مريح وسرور

٣ — يجب أن يخصص للطفل جزء من إيراد والده ووالدته

٤ — يجب أن يعنى بالأم قبل الوضع وبعده من الوجهتين الطبية والاجتماعية

٥ — يجب أن تساعد الأم وتفضل على غيرها في العلاج في المستشفيات

٦ — يجب أن تكرس الأم عنايتها لطفلها لمدة ثلاث سنوات على الأقل

٧ — يشترط في غذاء الطفل أن يكون كافياً

٨ — يجب أن يوضع الطفل تحت ملاحظة طبية دورية

٩ — يجب أن تتوفر للأطفال دور كفالة لمن تضطر أمهاتهم أن تتركهم وحدهم حصة من اليوم، ذلك للأطفال الذين يقل عمرهم عن الثلاث سنوات

١٠ — يجب أن تتوفر ملاجىء لإيواء الأطفال الذين يزيد سنهم عن الثلاث سنوات مدة مرض أمهاتهم أو فقد من يعولهم

١١ — يجب إنشاء مدارس لتعليم الأمهات العناية بالأطفال ، أو على الأقل يجب تدريس ذلك بالمدارس الحالية

١٢ — يجب العناية بالمراضع والتأكد من خلوهن من أمراض معدية أو أمراض أخرى تؤثر على الطفل أو على تربيته وأن يكون لبنها موافقاً للطفل الرضيع وغير ذلك حتى يكفل للطفل الغذاء والصحة والراحة . وأن لا يسمح لمرضعة أن ترضع طفلاً إلا بعد أخذ تصريح بذلك

ومن هذا يتضح أن أهم العوامل في إنشاء جيل جديد سليم هو العناية بالعائلة والمنزل. فأساس سعادة الأمة هو سعادة العائلة ، واستتباب وسائل الراحة بالمنزل . وهذه الوصايا الاثني عشرة ليست كلها طبية بل بعضها اجتماعية . ومن هنا يستنتج أن أهم ما تعنى به الأمم الراقية هو الناحية الاجتماعية . أما الناحية العلاجية كإنشاء المستشفيات والعيادات الخارجية فطريقة ترقيع وإسعاف لإطالة عمر يقصره المرض أو الضعف . ونحن الآن لا نريد ترقيعاً بل نريد إنتاجاً سليماً من الأساس . نريد صحة تامة ولا نريد أمراضاً تهدر كياننا وآلاماً تحرمنا لذة العمل والكد والحياة ونستعين على تحملها بالمقاقير والمستشفيات

ولا يخفى على حضراتكم ان رعاية الأمومة والطفولة تجارة رابحة فهي أنجع وسيلة لاخراج جيل سليم، ومتى صلح الأصل سهلت مناعته للامراض، وقلت اصابته فتتوافر الأيدي العاملة، ويكثر بالتالي الانتاج للشعب في هناء المرضى وخصوصاً المصابين بأمراض مزمنة. وقد أثبتت المباحث الحديثة أن مسحوق الطبيب ومشرط الجراح هما آخر وسيلة للعلاج، وأن هناك وسائل كثيرة ومشروعات صحية أخرى أهمها رعاية الأمومة والطفولة إذ أعطيت شيئاً من العناية منعت كثيراً من المرض والبؤس وجلبت للوطن خيراً هو في أشد الحاجة إليه منذ آلاف السنين

الدكتور حسن كمال

مدير قسم رعاية الامومة والطفولة

الاشتراكية والعدل الاجتماعي

لا أعلم لماذا يفر الكتاب والخطباء من كلمة «الاشتراكية» ويعدلون عنها الى عبارة «العدالة الاجتماعية»، مع أن الاشتراكية فيها المعنى الحرفي لقوله تعالى «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» وعبارة العدالة الاجتماعية فضلا عن خطئها لغوياً، اذ ليس في اللغة «عدالة» وانما فيها «عدل»، فانها فوق ذلك تحمل من المعاني أوسع أنواع الاشتراك وأبعد المبادىء تطرفاً في المساواة.

معنى العدل في القانون معنى مطلق، ولا يفرق بين درجاته على ما يفهم التقدير السفلي الا كفاية الناس على ادراك ما تتطلبه اقامة العدل من الاعتبارات في مختلف الظروف. فالعدل في معناه الحقيقي مطلق، وفي تطبيقه نسبي. وما تأسى في تطبيق القوانين من معنى العدل، لا يتجاوز في الحقيقة المعنى المدرك من «الانصاف»، ذلك بأن الانصاف خاص، يفرق بين قيم الحقوق في كل حادث بعينه. أما «العدل» فعام مطلق، بل ان فيه طابعاً تجريدياً يدخله في دنيا الميتافيزيقيات.

من حقنا أن نأخذ في مثل هذه الاحوال بما كان يقول كونفوشيوس حكيم الصين، اذ انه درب تلاميذه وعريديه على ضبط المعنى اللفظي قبل المناقشة، فكان يقول لهم «حددوا المصطلحات». وان ما نرى من خلاف بين الناس وتنازع بين الاحزاب وتجادل بين الطبقات، اكثره راجع الى التعميم الواسع في معنى المصطلحات، وعدم تحديد معانيها

المحرر

المدرسة الخاتونية البرانية

بدمشق - ٢

الخطآن الرابع والخامس

تحقيق أمر « مسجد الخاتونية » الذي عناه ابن كنان ومسجد تربة الخاتون بالجبل » الذي ذكره ابن شداد

بعد أن فرغنا من اثبات أن مسجد الخاتونية البرانية لا موضع له بين زاوية القرنفلي والمدرسة المرشدية . وأنه ليس المدرسة الآتابكية . وحققنا أمر المدرسة الخاتونية البرانية التي أشار العلموي إلى أن صياغ كامل دمشق نقل رخامها إلى مدرسته بباب الجابية ، وقلنا انها كانت تقع بالشرف القبلي جنوبي بردي ولا علاقة لها بجبل الصالحية ، نتقدم الآن لتعريف مسجد الخاتونية الذي نقل الأستاذ أسعد عن ابن كنان « إنه كان فيه درس حديث في الأشهر الثلاثة وأن آخر من درس فيه . القاضي حسن بن العدوى الصالحي » لأن هذا المسجد كما سيتضح هو أيضاً غير هذه المعاهد جميعاً ولا علاقة له بها .

وكذلك سنحقق أمر مسجد تربة الخاتون بالجبل الذي ذكره ابن شداد وابن عبدالهادي وسنثبت أنه ليس المدرسة الآتابكية ولا المدرسة التي أشار إليها العلموي وإنما هو مسجد تربة عصمة الدين خاتون زوجة نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين الأيوبي .

* * *

نجد واجباً علينا ونحن ندرس مؤسسة أنشأتها خاتون أي سيدة في مدينة كدمشق بها كثير من المعاهد التي بنتها الخواتين أي السيدات والتي يسمى كل منها باسم الخاتونية أن نحدد ما يريد ابن كنان عند ذكره « مسجد الخاتونية »

والطريقة المثلى لذلك هي أن نتعقب ابن كنان في جميع تضاعيف كتابه « المروج السندسية » وأن نتأكد تماماً وبدون أدنى شك مرتع وتاريخ « مسجد الخاتونية » الذي ذكره : —

---

(١) ظهر الجزء الاول من هذا البحث في متحف نوفمبر الماضي

أولاً — يقول ابن كنان في ص ٢٨ من كتابه « المروج السندسية بتاريخ الصالحية » مخطوط دار الكتب الملكية بالقاهرة (ومنه نسخة مصورة بالمجمع العلمي العربي بدمشق هي التي اعتمدنا عليها) جامع الطاتونية : « وفيه درس حديث في الأشهر الثلاثة وآخر من درس فيه القاضي حسن بن العدوى الصالحي »

ثانياً — ويقول في ص ٢٩ عند تعداده مساجد الصالحية. « مسجد في سوق شعيب ... ومسجد في زقاق الأسد في سوق شعيب ومسجد الشركسية . . . ومسجد عند مطهرة الطاتونية وآخر قبليه وآخر في حارة المقدم على الطريق السلطاني مقابل قناة العين .. الخ

ثالثاً — ويقول في ص ٣٠ عند ذكره مآذن الصالحية .

« قال ابن عبد الهادي في تاريخ الصالحية . . ومن مآذنها (أي الصالحية) . . (بالمدرسة) المرشدية واحدة و (بالمدرسة) الأتابكية واحدة . . . و (بالمدرسة) المارداينة واحدة . . وعند الطاتونية واحدة . . . انتهى كلامه أقول (أي ابن كنان يقول) والسليمية (أي جامع محي الدين) واحدة والموجود منها بعد الآلف . . . الطاتونية والمارداينة ... والأتابكية والمرشدية ... أدركتها . . الخ .

رابعاً : ويقول بصحيفة ٧٥ من المخطوط « ... وأما العزيز الآن في الصالحية فمن حد السكة الى الصالحية بها خمس خطب : المظفر ، والسليمية ، والحاجبية ، والطاتون ، والمارداينة .. »

خامساً : ويقول في ص ٩٤ — ٩٥ عند افتخاره بالصالحية وبراعة أهلها في الصناعات والفنون بحيث لا يلحقهم فيها أحد :

« ... وقول الناس في المثل سابق الصالحية لا يلحق . لأن الحرب فيها كذلك ... فأما العلماء فالأجلاء كانت بها والحفاظ والصلحاء والعبّاد والرؤساء واصحاب الشرف . وفي الصناعة ان بجامع الطاتونية مدّة مسجونة عمل رجل دهان من الصالحية فعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يعاملوها ... وكذلك بقية الصناعات حتى المصارعين والبهلوانية والحلوانية والخطاطين وأصحاب الأصوات الجميلة حتى لقد سافر أحدهم الى مصر فسمعت صوته جارية فرمت بنفسها من الربع ... ومن قول الناس في المثل : سابق الصالحية لا يلحق لأن الحرب فيها كذلك . اهـ . ويستنتج من ذلك الحقائق التالية :

١ — ان مسجد الطاتونية كان به درس حديث في ثلاثة أشهر من السنة

٢ — انه يقع بالقرب من المدرسة المباركية (المعروفة بالشركسية) ومن حارة المقدم

٣ — انه كانت به مأذنة في عهد ابن عبد الهادي واستمرت الى ما بعد سنة الف هجرية

٤ — انه كان أحد المساجد الجامعة الكبيرة بالصالحية وكانت به خطبة

٥ — انه كانت به سلة مدهونة بديعة الصناعة بحيث يعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يصنعوا مثلها .

ونبدأ الآن في دراسة هذه الحقائق لنصل الى التعريف الدقيق بمسجد الخاتونية الذي عناه ابن كنان فنقول :

أولاً : اثبات ان مسجد الخاتونية هذا هو مسجد تربة عصمة الدين خاتون المعروف بالمسجد الجديد .

١ — يقول النعيمي في باب التربة بالجزء الثاني من كتابه الدارس ص ٤٥٠ — ٤٥١ ما نصه في الفصل الخاص بالتربة الخاتونية :

« هي على نهر يزيد بصالحية دمشق قبلي المدرسة الجهاركسية وهي تربة عصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين زوجت نور الدين ثم صلاح الدين (الأيوبي) وأوقفت المدرسة التي بدمشق الحنفية وقد مرت ترجمتها فيها والخانقاه التي عند جامع تنكز انشأتها سنة سبع وسبعين وخمسماية (٥٧٧ هـ) كما هو مكتوب على الشباك المطل على الطريق .

وقد وسع هذه التربة وجعلها جامعاً يعرف الآن بالجامع الجديد وأقيمت فيه الجمعة الفقير الى الله تعالى سليمان بن حسين العقيري التاجر وذلك بتولي الفقير الى الله تعالى علي بن التدمري وذلك في شهور سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩) غفر الله تعالى له ولهم آمين .

ثم أنشأ الخواجا أبو بكر بن العيني تربة له ثمانى هذه (التربة) يسلك اليها من بابين أحدهما من الجامع المذكور وتجاههما ايوان بمحراب وأضافه الى الجامع المذكور، ثم أوقف عليها ولده شيخ الاسلام زين الدين عبد الرحمن بن العيني أوقافاً ورتب في الايوان المذكور مدرساً وعشرة من الفقهاء ووقتا في كل ليلة جمعة وشرط في المدرس والفقهاء أن يكونوا حنفية وأوقف كتبه عليها » اه كلام النعيمي .

ويقول العلمي في كتابه مختصر الدارس مخطوط المجمع العلمي العربي بدمشق في فصل التربة الخاتونية صحيفة ١٢٨ بعد أن يلخص ما ذكره النعيمي :

« ... ثم في سنة خمس وسبعين وتسعمائة (٩٧٥ هـ) ألهم الله تعالى عبده الصالح محمد ابن محمد المترجم أن يوسع هذا الجامع فاجتهد في توسيعه من جهة الغرب ووسعه بقدر مرتين بعد أن كان ضيقاً فصار جامعاً واسعاً تصلى فيه الصلوات والعبادات والتلاوات آناء الليل وأطراف النهار وأزال الحائط الغربي وجعل في هذا الذي جدده محراباً ثانياً ورتب اماماً ووقف عليه وقفاً وأنفق عليه من ماله وساعده بعض أهل الخير تقبل الله منه ومن كل من يفعل الخير » اه .

٢ — يقول النعيمي أيضاً بباب المساجد بصحيفة ٥٦٠ ج ٢ .. عن ابن شداد «ومسجد تربة خاتون على نهر يزيد».

فهنا يصرح ابن شداد بأن مسجد تربة الخاتون الذي نقله عنه ابن عبد الهادي بص ١٣٠ هو الواقع على نهر يزيد وهو قطعاً مسجد تربة عصمة الدين خاتون زوجة نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين المتوفاة سنة ٥٨١ هـ . وقد ظهر لنا بصفة مؤكدة انه كان يعرف باسم «مسجد تربة الخاتون» حتى عهد ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ. ثم وسع وجعل جامعاً كبيراً بخطبة وتقام فيه الجمعة في سنة ٧٠٩ هـ . والسبب في هذه العمارة كما نرى ما حدث فيه من التشعيث والتخريب بسبب ما أوقعه التتار وصاحب سيس من النهب في الصالحية في ٦٩٩هـ.

يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩ هـ مجلد ١٤ ص ٨ من كتابه البداية والنهاية «وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعي له على السدة بعد الصلاة وقرىء عليها مرسوم بنيابة قبجق على الشام وذهب اليه الاعيان فهنئوه بذلك . . . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها (أي بالصالحية لوجود دار حديث أخرى أشرفية بدمشق شرقي القلعة بالعصرونية) واحترق جامع التوبة بالعقيبة الخ». اهـ .

فبعد هذه العمارة التي جدد فيها المسجد ووسع وجعل جامعاً كبيراً بخطبة تقرر فيه الجمعة بدأ الناس يسمونه «الجامع الجديد» بجانب تسميته القديمة «مسجد الخاتون» . لذلك نجد ابن عبد الهادي يسميه الجامع الجديد ويذكره في كتابه بهذا الاسم فيقول في ص ١٥٩ : «فصل في ذكر المساجد المختصة : غالب مساجد الصالحية للحنابلة الا جامع الشيلية والجامع الجديد» الخ . وص ١٥٥ : «المحلة الثانية والعشرون من محلات الصالحية :

حارة الدلامية وحمام المقدم : ..... المسجد السادس بالجامع الجديد» . ولكنه حين ينقل اسمه عن ابن شداد يسميه «مسجد تربة الخاتون» (ص ١٣٠) وقد علمنا فيما سبق أنه بعد هذه العمارة ألحقت تربة العيني وأضيفت إليه وجعل فيها الدرس والمكتبة ثم وسع الجامع بعد ذلك بقدر مرتين في سنة ٩٧٥ هـ . ولما كان ابن عبد الهادي قد ألف كتابه هذا في أواخر القرن التاسع الهجري وتوفي سنة ٩٠٩ أي قبل توسيع الجامع بحجمه الكبير بنحو ٦٦ سنة فقد ثبت لدينا أن هذه التسمية كانت معروفة وذائعة قبل عصر ابن عبد الهادي . هذا أضفنا إلى ذلك أن النعيمي مؤرخ لاحق لابن عبد الهادي توفي سنة ٩٢٧ هـ وعرفنا أنه كان يعلم التسميتين لمسجد وأنه أشار إليه في باب المساجد ثم ترجم له في باب التربة في فصل

تربة عصمة الدين خاتون . وفي اللوحة التذكارية المنقوش عليها اسم البانية وتاريخ انشاء التربة سنة ٥٧٧ هـ لا تزال موجودة في موضعها بالواجهة الشرقية للجامع كما شاهدها النعيمي . فلا يكون هناك إذن أي شك في أن مسجد الخاتونية الذي ذكره ابن كنان وكان به درس الحديث في الأشهر الثلاثة هو المسجد الجديد هذا وهو نفسه الذي يسميه ابن شداد « مسجد تربة الخاتون في كتاب المساجد ص ١٣٠ وموقعه جنوب الجهاركية (المعروفة محلياً باسم الشركسية أو الجركسية) بحارة المقدم والدلامية قرب الطرف الشمالي الزقاق الآخذ من الجسر الأبيض إلى الجهاركية .

ثانياً : يشير ابن كنان في ص ٢٩ عند ذكره مساجد الصالحية إلى مسجد الخاتونية في المنطقة الواقعة بين الجهاركية وحارة المقدم .

وقد ثبت لدينا مما ذكرناه آنفاً أن مسجد الخاتونية هذا هو الجامع الجديد ولا يوجد في هذه المنطقة (بين الجهاركية وحارة المقدم) مسجد آخر يمكن أن تنطبق عليه هذه التسمية سواه علاوة على أن اللوحتين التذكاريتين اللتين تثبت احداهما بناء تربة عصمة الدين خاتون سنة ٥٧٧ هـ وعمارة المسجد سنة ٧٠٩ هـ لا تزالان موجودتين احداهما بالواجهة الشرقية للحرم والثانية على عتب المدخل . ولا ندري لماذا حرص ابن كنان على عدم ذكر اسم الجامع الجديد مع ان المؤرخين الذين سبقوه من أمثال ابن عبد الهادي والنعيمي والعلموي قد عنوا بالاشارة إليه . والظاهر لنا أن هاتين التسميتين قد عاشت كل منهما مع الأخرى ولم يكتب لاحداهما الغلب فظلتا مشهورتين ومعروفتين حتى الوقت الحاضر . ودليلنا على ذلك ان أهل الصالحية يسمون هذا المسجد تارة مسجد الخاتون وأخرى بالمسجد الجديد .

واننا اطلعنا على كشف بيان الأماكن الأثرية في مدينة دمشق المصنفة وقتاً لقرار رقم ١٦٦ ل ر المؤرخ في ٧ تشرين الثاني (أي نوفمبر) سنة ١٩٣٣ فوجدنا به ما يلي :—

« الجوامع ... وجامع الخاتونية (يحي) الشركسية » أي ان دائرة أوقاف دمشق تأخذ حتى عصرنا هذا بالاسم القديم لهذا المسجد مع تسميته الشائعة المتداولة وهي « المسجد الجديد »

ثالثاً : ينقل ابن كنان عن ابن عبد الهادي أن مسجد الخاتونية هذا كانت له مأذنة ويقول ابن كنان أن هذه المأذنة استمرت الى ما بعد سنة الف هجرية .

ويستنتج من ذلك ان المأذنة التي يشير اليها كانت موجودة في أواخر القرن التاسع الهجري أي انها ترجع قطعاً الى عمارة سنة ٧٠٩ هـ لأن ابن عبد الهادي الذي روى هذا توفي سنة ٩٠٩ هـ أي قبل العمارة الكبرى الثانية التي حدثت سنة ٩٧٥ هـ لأن هذا المسجد كما ذكرنا مراراً في ثلاثة أدوار معمارية هامة :

الدور الأول : انشاؤه سنة ٥٧٧ هـ

الدور الثاني : اصلاحه وتوسيعه في سنة ٧٠٩ هـ

الدور الثالث : توسيعه في سنة ٩٧٥ هـ

وقد قلنا ان مسجد الخاتونية هو الجامع الجديد. ولو كان ابن كنان يقصد مسجداً آخر لما ذكر مساجد الخواتين الأخريات التي فيها مآذن بأسمائها المشهورة. وقد ذكر منها صراحة مسجد المارداني وهو الى الجنوب عند الجسر الأبيض والآتابكية والمرعدية بجادة بين المدارس إلى الغرب وليس في هذه المنطقة مساجد خواتين أخريات ذوات مآذن يمكن أن تضاف إلى هذه المساجد سوى مسجد تربة الخاتون العصمية (عصمة الدين خاتون) بالجامع الجديد.

رابعاً : إن هذا المسجد كان في عهد ابن كنان من المساجد الخمسة العظيمة الموجودة في المنطقة المحصورة «من حد السكة إلى الصالحية» والتي بكل منها خطابة. وهذه المساجد الخمس هي

جامع المظفر — أي جامع الحنابلة المعروف بجامع الجبل.

جامع السليمية — المعروف بجامع محيي الدين ابن عربي.

جامع الحاجبية — وقد زالت عينه من الصالحية ولا أثر له الآن.

جامع الخاتون — وهو الجامع الجديد.

جامع المارداني — وهو جامع المدرسة المارداني المسمى بجامع الجسر الأبيض ولا يزال حتى الوقت الحاضر هذه الجوامع موجودة عدا جامع الحاجبية فقد قلنا إنه زالت عينه وكان موضعه مقابل حمام الحاجب جنوب غربي المدرسة العمرية. ولا يوجد في المنطقة المحصورة بين جامع الحنابلة من الشرق وشارع سكة المدارس من الغرب والجسر الأبيض من الجنوب جوامع أكبر من هذه من حيث العظمة والاتساع وإن كانت المدرسة المارداني مبنية على طراز المدارس لا على طراز المساجد الجامعة الكبيرة.

خامساً : ذكر ابن كنان في معرض تفاخره بالصالحية وعمائرها ورجالها وصناعاتها وفنونها أن مسجد الخاتونية هذا كانت به مئذنة مدهونة بديعة الصناعة بحيث يعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يصنعوا مثلها أو يحاكوها.

ونقول نحن أن هذه المئذنة لا تزال موجودة بالجامع الجديد في مواجهة المحراب وهي مدهونة بالدهانات العصمية (على حد تسمية هذه الصناعة بدمشق) وهي وان كانت قد امحت أجزاء منها وبهتت ألوانها وحالت بهجتها فلا يزال بها أثر بين عن دقة صناعة هذا الفنان الصالحي (نسبة إلى الصالحية) وتفوقه وعبقريته وليس في مساجد الخواتين جميعاً بالصالحية كلها مثل هذه المئذنة بدهاناتها وصناعتها.

(له بقية) السيد الخضر شهيب

اللاأدريّة : Agnosticism

المصطلح الأعجمي من الأصل اللاتيني gnoscere أي يعرف to know

أطلق هذا الاصطلاح أول الأمر ليكون وصفاً لأية نظرية تنكر انه في مستطاع الانسان أن يحصل على المعرفة بالله . وبالرغم من أن اللاهوتيين مجمعون على مناهضة اللاأدرية ، فانهم لم يتحرروا من الميول المشابهة لما ترمي اليه النظرية . فالبحث في « كيف والى أي مدى يستطيع كائن محدود أن يعرف واجب الوجود » — معضلة من شأنها أن تثير صعاباً تنتهي الى نتائج فيها إثارة من طبيعة اللاأدرية . أما هذه الصعاب فلا يمكن أن تنفك عن الطريقة التي يعرض بها اللاهوت هذه المعضلة .

(١) أما باعتبارها نظرية تناهض المذهب التقليدي : Traditionalism القائل بأن الانسان في حاجة الى وحي علوي ليصل الى المعرفة بوجود الله ، فان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تقضي بأنه يمكن الوصول الى تحقيق وجود الله ، من طريق النور الطبيعي المستمد من العقل الانساني . أما من حيث مناهضتها لمذهب « الوجودية » Ontologism — القائل بأن الانسان فيه آلية خاصة تمكنه من معرفة الله مباشرة — فانها تجنح الى التكيف بعض الشيء . أما في نكرانها الميول التي تلازم مذهب الوحدية Pantheism ، فانها تقول بأنه من المستحيل على الانسان مستعيناً بالطبيعة وحدها أن ينفذ بفكره الى حقيقة وجود الله ، وان الادراك المباشر لطبيعة الله إنما يكون من نصيب المُنعَم عليهم في حياة أخرى ، وان الانسان مهما بلغ من معرفته بالله من طريق جهده العقلي ، فانه لن يصل الى معرفة الله في حقيقته .

(٢) إن الألوهية Theism النصرانية فيها إثارة من اللاأدريّة . فانها تقول ان الانسان له معرفة بالله ، ولكنها تنكر ان الله والعالم شيء واحد . وهي لهذا تذهب إلى أن الله مستقل عن الكون ، وان معرفة البشر به على دوام تقدمها ، لن تصل الى الكمال .

(٣) يعبّر « مَنْسل » Mansel عن اللاأدرية اللاهوتية في العصور القديمة بأن الانسان بينا هو ملزم بالاعتقاد في لانهائية الله . فانه غير قادر على إدراكها . ومن هنا تنفصل العقيدة عن المعرفة ضرورة .

(٤) ان أحدث صور اللاأدرية في اللاهوت هي الصورة التي بشّر بها « رتشل » : Ritchel

وبعض أتباعه ، وتقوم على نظرية في المعرفة بنيت على بعض تفسيرات قال بها « كنت » Kant : وعلى بعض أقوال قال بها « لوتزه » Lotze : وتقضي تلك النظرية بأن الانسان لا يعرف إلاّ الظاهرات . وبما أن الله ليس بظاهرة ، فالانسان لا يدركه . ولذا كان من طبيعة اللاهوت ألاّ يتعلق في بحوثه بالأسباب الفعّالة Causa efficiens ، بل يتعلق بالسبب الغائي : Causa finalis ، أي ان اللاهوت لا يعالج المعرفة بالله ، لا باعتباره موجوداً ، بل باعتباره « مثلاً خلاّبا » : Attractive Ideal ، يلزم الانسان ، من طريق ذاتي صرف ، الى الاعتراف به . فالله في ذاته من الأشياء المجهولة أي التي يستحصى على الانسان معرفتها حتى من طريق الوحي القدسي ، وان معرفة الانسان به إنما تقوم على تقدير ما يدركه من قيمة صفاته ليستعين بمعرفتها على التسامي أدبيًا ودينيًا .

بحث مسهب : في تاريخ الفلسفة واللاهوت

التّسمّح — Toleration

Formerly also "Tolleration" — L. tolerātio (N-) tolerare, pp. tolerātus = endure, tolerate.

(١) الاعتراف بحق الحكم الذاتي ، والاقتناع التخمي في العقائد والعبادات وما يتعلق بها (٢) ما تتمتع السلطات الحاكمة في دولة من الحرية الفردية ، بحيث يقضي للفرد ان يعلن عن معتقده وآرائه الدينية ويدافع عنها ويختار تمالئها . ويعبد ما يشاء بالطريقة التي يختارها وفي المكان الذي يرضيه ، ما لم يكن في عمله اعتداء أو اجحاف بحقوق الغير ، أو تمس القوانين التي تحمي الاخلاق والآداب والنظام العام ، أو أمن السلطات الحاكمة : (٣) اعتراف الدولة بالحق الذي يباشره الفرد في التمتع بما تجيزه التراتيع والقوانين والامتيازات الاجتماعية ، من غير اعتبار للفوارق الدينية

Quot., 1789-Burke-Corr. 1844) II. 369 : I have been a steady friend, since I came to the use of reason, to the cause of religious toleration.

1849-Macaulay : Hist. Eng. VI. i. 9 . Locke contended that the church which taught men not to keep faith with heretics, had no claim to toleration.

الجرابيات

ونشوء الغدد الثديية

MARSUPIALIA.

and the Development of the Mammary Glands.

Etym.: [L. marsupium = a pouch] and in Gr. marsipion, also written marsippion, marsupion, dim. of marsipos, marsippos, marsupos = a pouch, bag.

والاصطلاح العلمي في اللاتينية : marsupium أي كيس أو جراب ، وأصله روماني (يوناني) . وعن معجم الحيوان المعلوف ص ١٥٨ :

« ذات الجراب أو الكيس ، وهي أدنى من رتب الحيوانات الثديية » اهـ . وفي هذه العبارة اضطراب ، صببه في الظاهر تقديم لفظ على لفظ . وتقديم هذا اللفظ يجعل اضطراب العبارة يتناول المعنى العلمي ، فالجرابيات من الحيوانات الثديية (الثديية على حد قوله) تقوله « أدنى من رتب الحيوانات الثديية » ، يخرجها من الثديات ، ونصّ العبارة هي : « وهي من أدنى رتب الحيوانات الثديية » . وبهذا تستقيم العبارة . وعن معجم شرف ص ٤٧٤ :

marsupial : (١) مكيّس ، كيسيّ (٢) حيوان ثديي ذو كيس أو جيب من رتبة « المرسوبيالية » . marsupiate : كيسيّ ، ذو جيب في أسفل بدنه يحمل فيه صغاره » . اهـ .

وأردت أن أرجح بين « كيس وجيب وجراب » ، فوضح لي أن لفظ « جراب » أنسب هذه الألفاظ . فقد جاء في القاموس المحيط (٢٤٨ : ٢) : والكيس (بالكسر) للدراهم لأنه يجمعها (ج) أكياس وكِيسَة . اهـ . وهذه العبارة تدل على أن الكيس خصّص للدراهم ، ولا علاقة له بصفة عضوية تكون في الأحياء . ولا مانع لغويًّا من نقل معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ، ولكن يحسن أن لا يكون ذلك إلّا لضرورة ولا ضرورة هنا ، لأن الجراب فيه هذا المعنى .

جاء في القاموس (ص ٤٥ : ١) : والجراب ولا يفتح ، أو لغيّة فيما حكاه عياض ، المزْوَد أو الوعاء (ج) جرُب وأجربة وجرُبٌ ، ووعاء المخيطين » . اهـ . فالجراب

أنسب اللفظين ، نؤرخذ منه اسم يدل على هذه القبيلة [١]

وقد أطلق المواليدون أسماء أخرى تشمل هذه القبيلة : اللاّمشيميّات [٢] ، وذوات الرّحيمين [٣] ، والأوسطيّات [٤] .

***

الجرابيات قبيلة من الثّدييّات [٥] يسمّيها هُكسلي [٦] ذوات الرحمين ، ويشير الى الثديات اللامشيميّة التي يكون لها جراب أو جلبّان تربى فيه الصغار أول عهدها بالحياة وليس لها مشيمة تنمو وتسقط مع الجنين ، ومدة الحَمْل قصيرة ، فتولد الأجنة صغيرة الحجم جدًّا ، ناقصة التكوين ، فاقدة الحيلة ، فتنتقل بمجرد وضعها إلى الجلبّان أو الجراب عند بطن الأم حيث تكون الحلمات ، فتلتصق أفواهها بها لصقاً شديداً ، وتظل كذلك حتى يكتمل نموّها بارضاعة . فاذا بلغت الأجنة من النمو مبلغاً مّا ، أمكنها في تلك الحال أن تترك الحلمات من أفواهها ، ثم تعود اليها وامتصاصها ، وكثيراً ما تعود الصغار الى الجُلبّان بعد أن تكون قد تركته ودرجت إلى الأرض ، أو تتشبث بأجزاء من أمهاتها لتحملها معها حيث تذهب .

ويحسن بنا هنا أن ننقل رأي العلامة « درون » في نشوء الغدد الثديية ، فإن هذا موضع إثباته ، فقد جاء في الفصل السّابع من كتاب « أصل الأنواع » [٧] ما يلي :

« إن الغُدَد الثديية صفة عامة في الثديات . وهي فوق ذلك صفة ضرورية لبقائها . ولهذا لا شك في أنها ضربت في التطور والنشوء منذ أزمان موغلة في القدم ، ولا نستطيع أن نكتنه الآن بطريقة عملية تلك السبل التي درجت فيها الغدد الثديية ، واتخذتها للنشوء سبيلاً » .

« يتساءل مستر ميوارت » : [٨] — هل في مستطاعنا أن نلحظ في نواحي الطبيعة حالة نثبت بها أن مولوداً من نتاج أي نوع من الأنواع ، قد نجا من الهلاك بأن ارتضع بالمصادفة بضع قطرات من سائل مغذٍّ ، أفرزته غدة تضخمت تحت ظاهر بشرة الأم اتفاقاً ؟ وإذا

(١) Order (٢) Implacentalia (٣) Didelphia (٤) Metatheria

(٥) Mammalia (٦) Sub-class

(٧) The Origin of Species : by means of Natural Selection or The Reservation of Favoured Races in the Struggle for Life. London, ed. 1911.

(٨) Mr. Mivart احد الذين انتقدوا مذهب درون في الانتخاب الطبيعي

فرضنا حدوث ذلك ، فأية فرصة أو سبب وجد حينذاك ، فساعد على الاحتفاظ بمثل هذا التغاير الجديد » ؟

« إنّ هذا السؤال لم يوضع بطريقة قويمة . فإن الاعتقاد السائد عند زعماء النشوئيين : Evolutionists أن الأثداء قد تأصلت عند أول نشوئها عن جراب عضوي Marsupium ، وإذا صحّ ذلك تحقق عندنا أن الغدد الثديية قد تكونت بداءة في داخل ذلك الجراب . فالسمكة المسماة « جواد البحر » Hippocampus : يثقف بيضها عن صغار يتولاها الصغار بالرباوة داخل جراب من هذا الصنف . ويعتقد مستر « لوكوود » Lockwood ، وهو من أشهر مواليدي أمريكا ، اعتماداً على ما شاهده من هذه صغار هذا السمك ، أنها تتغذى بإفرازات غدد تكون تحت ظاهر البشرة في ذلك الجراب . فإذا رجعنا النظر كرة إلى أسلاف الثديات وبخاصة في تلك العصور التي لم تكن قد بلغت فيها من التغاير مبلغاً حقيقاً بأن يحملنا على أن نصرف عليها اسم « الثديات » ، فإن لنا أن نرجح على الأقل ، أن تكون صغارها قد غذيت بطريقة مشابهة لهذه . وفي تلك الحال تعقب الأفراد التي تفرز من السائل ما هو أوفر غذاء ، بحيث يكون مقارباً لتركيب اللبن الحقيقي إلى حدٍّ ما ، وعلى مرّ الأزمان عدداً من الأعقاب توافر غذاؤها ، أزيد مما تعقب الأفراد التي تفرز من السائل ما قلّت فيه مادة الغذاء . ومن هنا ساق إلى القول بأن تلك الغدد الجلدية ، تتجانس والغدد الثديية تمام التجانس . ولا بد من أن تكون قد تطورت أوصافها ، أو زادت منفعتها ، وعظم أثرها . وتلك حال تتفق وما ذكرنا من ناموس التخصيص Specialisation بأن تكون بعض الغدد الموجودة في جزء خاص من ذلك الجراب ، قد أصبحت أكثر نماءً وتطوراً وتهذيباً عن بقيتها ، ومن ثم تكونت ثديا صميمة ، كانت في مبدإ الأمر غير حلمات ، كما نشاهد ذلك في « الكنغر » [1] Ornithorhynchus وهو أحط طبقات الثديات الحية في عصرنا هذا . »

« أما الحكم في أي البواعث أو الأسباب كان من أثره أن يخصص بعض الغدد القيام بوظيفة في جزء ما من البدن دون الآخر ، فذلك ما لا أحاول أن أقضي فيه بحكم ، أللتأثير التعاوضي في النماء أعزوه ، أم لمؤثرات الاستعمال ، أم لفعل الانتخاب الطبيعي ؟ »

« ولا مشاحة في أن تأصل الغدد الثديية قد يصبح معدوم النفع ظاهر الفائدة ، وما كان

(١) حيوان ثديي بيوض له منقار البط ، وأقدامه منتاة كأقدام طير الماء . وهو الحيوان الثديي الوحيد الذي يأتي بيضاً كالطير والزواحف ويرضع صغاره .

للانتخاب الطبيعي أن يبلغ منه بأثر ، اذا لم يكن في صغار الحيوانات من الاستعداد الفطري ما يسوقها الى الالتصاق بما تفرز الغدد من السائل المغذي . ولست أجد صعوبات في بحث الدوافع التي ألجأت ولائد الثديات الى ارتضاع ثدي أمهاتها، تفوق الصعاب التي تعترضها إذا ما أمعنا في بحث ذلك المؤثر الخفي الذي يدفع الفرخ الى كسر قيض[1] البيضة بأن يمسها مسًّا لطيفاً بطرف منقاره المهيأ كل التهيئة للقيام بهذه الوظيفة ، أو كيف ان الفرخ بعد أن تنقف عنه البيضة ببضع ساعات ، تراه قد فقه طريقة الالتقاط بمنقاره ؟ وأرى أن أقرب فكرة توصلنا الى حل هذه المعضلة تنحصر في القول بأن هذه العادة قد اكتسبت بالتجربة بداءة ذي بدء منذ عصور مغرقة في القدم ، ومن ثمت انتقلت العادة من الأسلاف الى الأخلاف منذ أزمان متطاولة » .

« ويقال إن صغار الجرابيات مثل « الكنغر » Cangaro : لا ترضع ثديَّ أمهاتها امتصاصاً ، بل تكتفي بأن تثبت أفواهها في حلمة الثدي ، في حين تكون الأم قادرة على أن تحقن فرز ثديها صبًّا في فم رضيعها ، لأنه يكون في ذلك الطور ناقص التكوين ، فاقد الحيلة »

« ويلاحظ مستر « ميوارت » : أنه إذا عدمت الولائد وسيلة تزدرد بها طعامها ، فانها لا محالة تستنكر اذ ذاك أن يجري شيء من اللبن في الرُّغامى (قصبة الهواء) التي تتنفس منها . غير أننا نعثر مع البحث على وسيلة عامة تحل محل الوسيلة الخاصة ، وتقوم مقامها . فان الحلقوم Larynx يكون في مثل تلك الحال ذا استطالة ، حتى أنه ليستقيم في امتداده الى منتهى الحد الظاهر من قناة الأنف ، وبذلك لا يعوق الهواء عن الوصول الى الرئة عند ارضاعة ذلك في حين أن اللبن يندفق من غير أن يحدث أي ضرر بالرضيع ، مارًّا بجانبي الحلقوم على استطالته ، ومن ثمت يبلغ الى فُوَّهة المريء Gullet أي مجرى الغذاء والماء .

« ويتساءل بعد ذلك مستر « ميوارت » : كيف يستطيع الانتخاب الطبيعي أن يزيل من الكنغر البالغ ، بل ومن الثديات كافة ، على اعتبارها متسلسلة عن حلقة قديمة من الجرابيات ذلك التركيب الشاذ على بعده عن أن يحدث ضرراً مَّا » .

« وتدفع هذا الاعتراض بأن الصوت ، وهو أداة ذات شأن كبير في حياة الثديات ، قد يصعب استخدامه بحرية تامة ، ما دام الحلقوم ممتدًّا إلى مستوى قناة الأنف . ولقد ذكر الأستاذ « فلاور » أن هذا التركيب ، لا بد من أن يتنابه بعض المؤثرات ، وبخاصة في الحيوانات التي تتغذى بمواد فيها تماسك وصلابة

الفيتامين والهرمون

او صفحة من الاشتراكية التعاونية في الابدان الحية

بحث الهرمونات والفيتامينات فتح جديد من فتوحات الطب لا تزال معارفنا فيه مهوشة ناقصة والكشوف فيه مستمرة والآمال عليه معقودة .

هو بحث يتصل بسر الحياة الخلوية وتطور الأحياء النباتية والحيوانية وأتزان والتحام أعمالها ، فهو إذاً بحث يجمع الفلسفة الى الطب العملي السريري . يقول براهس إن في جسم الانسان صيدلية خفية وطبياً متوارياً عن العيون يصنع الأدوية ويمزجها ويستعملها بحسب ما تقتضي الحال . ولو لم يخلق الله تلك الصيدلية وهذا الطبيب ، لما أجدت مساعي جميع الأطباء معاً ولعجز أي مخلوق عن النيابة عن الحياة . فهذه الصيدلية العجيبة هي الموضوع المتشعب المتصل بالحياة ومستقبل الطب الذي سأحاول أن استعرض أهمية دراسته واستقصائه .

الهرمونات والفيتامينات أجسام لها في البدن أعظم الأثر رغم وجودها بكميات ضئيلة فيه . وقد كان تفريق هذين الصنفين وليد الظروف التي كشف بها عن كل منها ، فقد فتش الاحيائيون عن المواد الضرورية لدوام الحياة فتوصلوا لكشف الفيتامينات ومن جهة أخرى فكر الفزيولوجيون « الفيزيولوجيون » في دراسة وظائف الغدد الصم ، فوصلوا الى الهرمونات التي تنظم المبادلات الحيوية في البدن . وقد قال بنكره القرابة بين هذين الصنفين هُبكنز . فذكر ان هناك هرمونات خارجية الفيتامينات وأخرى داخلية .

فما هو الهرمون وما هو الفيتامين ؟ الفيتامينات مواد ضرورية لبدن لضمان نموه ولاحتفاظ النسج والأعضاء بنشاطها الطبيعي والبدن عاجز عن صنع هذه المواد بنفسه ، فلابدّ له من استيرادها من المحيط الخارجي ، وبخاصة من المملكة النباتية الغنية بها .

أما الهرمونات فهي مواد ضرورية أيضاً تتخصص قيام كل من الأعضاء بوظائفها وليقوم توازن والتحام بين هذه الوظائف ، يصنعها البدن ويقوم بذلك غالباً الغدد الصم . فالصفة الجامعة بين هذين الصنفين انها تؤثر بمقادير ضئيلة جداً ، وانها ضرورية لايستغنى البدن عنها وفقدانها يعرضه لأمراض الحرمان من الفيتامينات أو أعراض تنصّ الوظيفة في الهرمونات ، وتشفي جميع هذه العوارض بادخال هذه المواد في البدن المحروم منها . يتبين التفريق بين الفيتامينات والهرمونات أن مصدر الأولى أبدان الحيوانات ، بينما يعتمد الحيوان على ما تصنعه

النباتات من الثانية ليضمن حاجته منها . أن هذا الفارق غير موجود . فبعض الهرمونات توجد في المملكة النباتية كالخزامين ، الهرمون النسائي الثابت وجوده في الزيوت من المعجم الحجري (Hentriacontane , Taxine) كما أمكن تحضير الوتامين وهو هرمون من مترول نباتي Stigmasterol وبالتمايز فان لبعض الفيتامينات مصادر حيوانية كالحليب والزبدة والشحوم الحيوانية وكبد السمك . على اننا يجب أن نذكر بأن هذه الحيوانات اختزنت كميات كبيرة من هذه الفيتامينات من النباتات التي تتغذى بها . ثم ان بعض الفيتامينات هي هرمونات بالنسبة لبعض الحيوانات وفيتامينات بالنسبة للآخرين . فالفأر والحمام تصنع في أبدانها الفيتامين A فهي بالنسبة لها هورمون بينما هو فيتامين بالنسبة للآخرين .

أما الفوارق الأخرى التي يقال بوجودها بين الفيتامينات والهرمونات فلا أساس لها أيضاً . فقد قيل بأن الهرمونات تحدث تسمماً وعوارض خطرة في البدن إذا دخلت اليه بمقادير زائدة ، ولا يحدث شيء من ذلك ، ولو دخل الفيتامين بمقادير كبيرة . وعلة هذا الفارق طريقة دخول أو تحضير هذه المواد الضرورية التي لا غنى البدن عنها . فليس الفيتامينات مقادير سيئة لأن الجسم الحيواني يعتمد على اوارد اليه مع الغذاء فيضطر اذا دخلت الى أنبوب الطعم بكمية كبيرة من الفيتامين أن يطرحها البدن ليستعملها أيام الحرمان بينما لا يصنع البدن من الهرمونات إلا بقدر الحاجة اليها . وما سبب التسمم المعروف عند اعطاء كميات زائدة من فيتامين D إلا أن هذا الفيتامين هو هرمون أيضاً . فان البدن الانساني قادر على تركيبه في مترول الجلد بمواجهة أشعة الشمس أو يكون سبب التسمم فيه أحياناً المحضرات المركبة لهذا الفيتامين .

ثم ان الهرمونات تفسد بتأثير العصارات الهاضمة ، بينما الطريق الطبيعي لأخذ الفيتامين هو أنبوب الطعم . فالفيتامينات والهرمونات إذاً أجسام تؤثر بكياتها الضئيلة تأثيراً واحداً غايته حفظ توازن الوظائف الحيوية المختلفة .

إن عمل الفيتامينات والهرمونات في داخل البدن وآثارها فيه ، لوحة بديعة تمثل الحياة في مدها وجزرها ، وبنائها وتدميرها ، في حياتها وموتها . فهذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر تتضاد وتتساند بعضها مع بعض في سبيل غاية واحدة هي إطراد النمو وإبقاء الجنس وحفظ الشخص وهذا الأثر الكبير في نقل الصفات الخلقية والنفسانية والسيطرة على الأمزجة .

والواقع أن الفرد من الجسم الحيواني وهو كل خلية من خلاياه يعيش على حساب طوائف من المجموعات يقوم بها آلاف بل ملايين من الخلايا الأخرى . فالجسم الحيواني جيش لجب من الخلايا في كل منها حركة دائمة لا تقف ولا تكل . والحياة هدم وبناء وأخذ وعطاء وصعود وهبوط في عمل هذه الخلايا . ولا تقف هذه الحركة المستمرة إلا بوقوف الحياة

وانطفاء شعلتها . والخلايا تعجز عن القيام بأعباء هذه الأعمال الجسام بغير معونة هذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر في تسهيل التغذية والتنفس الخلويين . فقوام حياة الخلية إذاً وبالأحرى بقاء حياة الحيوانية مدين إلى وجود القدر الكافي من هذه المواد الوزنية مع الغذاء أو التي تصنعها خلايا أخرى في البدن . فالحياة في البدن اشتراكية تعاونية منظمة يتأثر كل فرد منها . أي كل خلية من اضطراب عمل أو حياة الآخرين .

تقسم حياة الانسان أقساماً ثلاثة : عضوية وحيوانية وفكرية . والفكر البشري المبدع عاجز عن إقامة حدود صريحة بين أشكال الحياة الثلاث ، فالاستقلال لا حقيقة له في الحياة ، بل إن التمازج بين الأعضاء والوظائف المختلفة المظاهر صميمي وثيق .

وهذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر وهي التي تكفل تنظيم حيوية البدن ونشاط وظائفه العديدة ، تتأثر وتؤثر في الجملة النباتية وأعصابها المتشعبة في جميع انحاء الجسم المسماة بأعصاب الحياة لخطورة العمل الموكول إليها ، تتأثر وتؤثر هذه الجملة النباتية التي لم يعرف العلم والعلماء حتى الآن إلا طرفاً يسيراً عن اعمالها المعقدة المتشابكة المتضاربة المظاهر ، تتسلط هذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر على أعمال هذه الجملة وتتأثر منها أيضاً . ويتحكم هذا المجموع عند صم هرمونات وفيتامينات جملة نباتية في بناء الجسم البشري وإطراد نموه وحسن تغذيته ودفاعه ودوام حياته وعلاقاته الجنسية وبقاء نوعه وتراثه إلى أولاده وأحفاده فهو يحفظ الفرد ، ويعمل على حفظ الجنس أيضاً .

قد يتبادر للفكر أن هذه الوظائف المختلفة المتشعبة لا يمكن أن تنتظم إلا بتخصص الاعضاء أو الخلايا وتفرغها للعمل في سبيل ذلك . لقد عمد الانسان في سبيل زيادة الانتاج وتحسينه إلى التخصص والتفرغ لأعمال محدودة ليتمكن من انتاج أكبر قدر ممكن بأقل جهد مستطاع . وقد توفق إلى ذلك بمعونة الآلة التي خلقها فعبدها وهذا هو مبعث ثورة مدنيتنا ، أما الطبيعة ، والحياة صفحة من صفحاتها ، فانها أسحر من ذلك . فليس للقوانين الرياضية ولا لقواعد الهندسة وجود فيها . فالخط المستقيم والخطوط المتوازية والتناظر وما الى ذلك ، كلها من خلق الانسان الذي يريد أن يقيم مقاييسه هذه طريقة لفهم أسرار الحياة . وقد افتاد الفكر الانساني الدقة والتبسط في الرياضيات وأعجبه ذلك ، فعجز عن استقصاء الحياة وفهم أسرارها إذ حاول أن يطبق عليها قواعد علومه التي ابتدعها ومقاييسه التي ظن أنها صالحة لكل شيء .

يقوم على تنظيم الحياة في الأبدان الحيوانية عوامل تتضارب أو تتساند . ولكنها تصل في النهاية إلى غايتها الأساسية فتتضادها فيه تعاضد ، وعداؤها فيه صداقة وهدفها واحد هو الابقاء على الفرد والدفاع والحفاظ على الجنس .

فتنظيم سكر الدم وتباينه يعتمد على الوارد الغذائي . ومولد السكر الكبدي Glycogène

والعضلي ثم استهلاك السكر بتأثير الانسولين البانكرآسي الذي يعاكسه الادرينالين الكظري surrénale وينشط الفرز البانكرآسي النخامة hypophyse التي تنشط أيضاً الكظر ويساند الكظر الدرق thyroïde وينشط الجميع النخامة أيضاً. فهكذا نرى في البدن أخذ وعطاء زيادة ونقصان وتضارب وتساند وتثبيط وتنشيط والغاية من جميع ذلك جعل السكر الدموي ثابتاً وهو ثابت عند الشخص الصحيح رغم اختلاف الوارد واختلاف الاستهلاك.

كذلك يعمل التيروكسين ضد الفيتامين A والفيتامين C بينما يتساند الانسولين مع الفيتامين B و C على استقلاب مادات الفحم، يساعد الفيتامين B2 والفيتامين A مفرز النخامة ليتم نمو الجسم الانساني بينما يعمل الفيتامين A كمنشط لافراز الهورمون النخامي المنشط للدرق، وينشط الفيتامين C افراز الهرمون النشري للكظر وهذا يؤثر بدوره منشطاً للدرق أيضاً.

تقع الاعضاء التي تشرف على هذا التنظيم البديع المعقد في مواضع بعيد بعضها عن بعض وبعيدة في مواقعها التشريحية عن الاعضاء والوظائف التي تؤثر بها. فالنخامة في قاع التجف تتسلط على نمو الهيكل العظمي، ونقص العظام moelle osseuse يتسلط على كريات الدم الحمر ونظائر الدرق para-thyroïde خلف الرغامي على تكلس العظام والفيتامين B في قشور الحبوب التي تحملها والفيتامين A في الاقسام الملونة من النباتات التي تقتطفها جميعها الامر الكبير في نمو الجسم الانساني.

فلا تصنيف ولا مراتب في المواضع ولا تناسب بين أهمية العضو أو حجمه والعمل الموكول اليه، ولا طبقات ولا امتيازات بين الاعضاء ولا الخلايا. فان النشر والنباتة والخلية الصغيرة من الجسم الحي والحيرة الحقيرة في التراب أو الهواء، كلها ضرورية وكلها سواسية أمام العمل الذي تسعى جميعها الى أدائه فلا سيد ولا مسود. ولكنها الحياة تتطلب أن يعمل كل في سبيل نفسه وفي سبيل المجموع لبقاء الحياة على وجه البسيطة.

ومن المؤكد أنه لو عهد الى الانسان صنع الجسم البشري وبنائه، فان فكرته الهندسية تقضي بأن يجمع الوظائف المتشابهة فيصنفها في جهات مختصة علوية وسفلية. أما الحياة فانها تبعثر أعمالها وتجمعها متضاربة متأثرة. ففرز يحرض، وآخر راض لئلا يستأثر البعض بالكل. فاذا تجاوز مفرز الحدود المرسومة، قام غيره يعدل أثره. وان قصر قام من ينوب عنه أو يسانده وهي تعمل جميعاً عملاً تعاونياً اشتراكياً في سبيل الخير العام. تلك هي الديمقراطية المثالية. وتلك هي روح التعاون الوثيق الكامل في سبيل الابقاء على الحياة.

واذا تتبعنا سيرة المدنية التي نفاخر بها أمماً بشرية دارسة أو أمماً حيوانية عجماء لاحظنا جلياً خطل الرأي البشري في السعي للتحرر من الطبيعة. إذ ينسى الانسان أبداً أنه خلق من

خلائقها تتمثل به صفحة من صفحات الحياة التي يعج بها هذا الكون. فقد ذكر الفرنسيون أن قيمة الغذاء تنحصر فيما يولده من قدرة وزعموا أن نظريات الاحتراق في آلات البشر الميكانيكية يمكن تطبيقها على أعمال جسم الحي فشبهوا ما يحدث في أنبوب الهضم من أعمال كيماوية بما يشاهد في أنابيب التجربة في المخابر. ثم انتشر في حينه الذعر من الجراثيم بعد أن كشف باستور عنها. فقال تلاميذه بأن الغذاء الصحيح هو الغذاء المقيم النقي كيماويًّا فانتشرت صناعة الأطعمة المختبرية وانتشر استعمال الخبز الأبيض والحبوب المقشورة والسكر الأبيض النقي والأثمار المطبوخة، وأهملت الخضر والفواكه لأنها لا تولد في أنابيب التجربة غيابات كبيرة من الجرور. فكان من نتيجة هذا التكلف والتفنن في الغذاء أن ظهرت أمراض الحرمان من الفيتامينات التي لم تكن معروفة قبل ذلك داء الحفر (Rickets)، البلاجرا، البريبري... الخ. وكثرت معها حوادث الداء السكري وعسرات الهضم المختلفة بسبب الإقبال الشديد على استهلاك مأدبات الهضم وقرد الآلة الإنسية، وانتشر الرخيص وعوارض توقف النمو والتلف كل ذلك بسبب اضطراب التوازن الغذائي، فالذي أودع الروح في الجسد جعل الغشاء في لب الحبوب والفيتامينات الضرورية في قشورها وليست الحياة إلا تبادل بين المملكتين الحيوانية والنباتية. فالإنسان عاجز عن أن يتحرر من عوزه إلى أصغر الأحياء وأحقرها الجراثيم والحشائر. وهو عاجز عن التحرر من حاجة النبات. وقد قيل أن لا حياة في مكان لا ينبت فيه العشب.

فلولا طحالب البحار لما قدرت أسماك المحيطات أن تختزن في أكبادها فيتاميناتي A و B ولولا هذه الفيتامينات المختزنة في أكباد الحوت، لما تيسرت الحياة طويلاً لسكان المناطق الباردة الشمالية المحرومة من نور الشمس، ينبوع القدرة والحياة في عالمنا الأرضي.

ولم يعرف سكان المناطق القطبية الرخيص إلا بعد أن استبدلوا لحوم الأسماك وزيوتها بغذائهم الطبيعي الذي كانوا يعتمدون عليه عند ما كانوا بعيدين عن العمران، بالمقددات والأطعمة المحفوظة التي حملتها إليهم المدنية مع شرورها وفسادها ومباهجها أيضاً.

وقد اصطرت آلة المدنية الإنسان يسعى في الليل والنهار يكثر من العمل والسموم المخدرة الكحول والتبغ ويقلل من الغذاء الصحي الذي يتطلب وقتاً لتحضيره وهضمه مندفعاً في هذا التيار الجارف تيار المزاحمة والمنافسة. فعرف القرن العشرون أمراضاً لم تعهد من قبل. فإن الإنسان اليوم في حالة تهيئة دائمة وتوتر مستمر، أعصابه متوترة مستعدة دائماً لكل مفاجأة، فكان من ذلك فرط التوتر الشرياني بسبب اضطراب الإدرينالين المستمر. فقد كان الإنسان القديم إذا تعرض لخطر فأفرز كغيره هذا الهرمون الضروري لتعبئة قوى البدن على وجه السرعة، تنقبض عروق الجلد لتمنع نزف الدم إذا جرح، ويرتفع سكر الدم لتجد العضلات كفايتها منه عند الحركة، وينشط القلب ليحتمل عبء العمل

المقبل عليه ، فتتعدل السموم الفضلية الحادثة بعد التعب ويزول هذا التوتر العصبي المؤقت ، بعد أن يتناول الانسان خصمه فيصرعه أو يتفاداه . أما رجل المدنية الحاضرة فحياته كلها مفاجآت وكفاح ومعيشة مستمرة لا سبيل الى تخفيف حدتها كالحر يخلي ولا معادة للأمان. فان قيام الرجل الابتدائي بالعمل بعد الاستعداد له يفرج الأزمة ويزيل التوتر ، وتقضي حياتنا المدنية أن يكظم الانسان غيظه وفي ذلك ارهاق للأعصاب يتعرض المرء بسببه الى فرط التوتر المستمر أو الاهتدادي وعوارضه الخطرة . أو الى صرارات الهضم باضطراب المفرز المعدي لاهمال الراحة والتلذذ بالطعام وللاصابة بقرحات المعدة الناشئة عنها. وقد انتشر السل والسرطان والآفات العصبية النفسانية أو بالحمات الراشحة Virus filtrables انتشاراً يهدد المدنية الحاضرة التي تفخر وتفاخر بها ، بالانتحار والاندثار .

ان للغضين طفًا من الطعام التي يتناولها الانسان مدى حياته المتوسطة ، أثر كبير في سحته وضياعه وخلقه. وقد أثبت العلم ان في استطاعة الباحث أن يطيل عمر الحيوان ويجعلها أكبر وأقوى إذا أشرف على تغذيتها على نحو معين . وان لمفرزات الغدد الصم أثر في طول المرء وقصره ، وفي أخلاقه وسلوكه ، في شبابه وهيضوخته. في أنوثته ورجولته، حتى الجبن والشجاعة أثر من آثارها . يقول أحد الحكماء ان الموت يدخل من الفم فلندخل الى أبداننا الصحة والسعادة بتنظيم الغذاء وتنويعه . فان الجوع أو الحرمان من بعض الأغذية الضرورية لا يزال يقضي على أكبر عدد من سكان هذا الكوكب السيار . ولا يدرس الانسان بتحليل أعضائه ودراسة أجزائه. فان التشريح والنسج والغرائز أضاءت على الطبيب صورة البشر الكامل. فليس الجسم الانساني آلة تتألف أجزاؤها من الاعضاء التي تصفها لنا هذه العلوم أحسن وصف وأدقه ، فيجب الرجوع الى دراسة الجنس البشري كمجموعة لا انفصام لها ، فليست الأمراض جميعاً جرثومية ، وليس الجرثوم كل شيء في المرض . فان دفاع البدن وتفاعلاته المختلفة باختلاف الأشخاص واختلاف أمزجتهم وعواملهم النفسانية أي تربة المريض وبناء جسمه وغذائه كلها عوامل ذات أثر فعال في تكييف المرض واختلاف ظواهره . فالناس لا يتشابهون في وجدهم ولا قاماتهم ولا أخلاقهم ولا في أمراضهم أيضاً .

وصحة الغدد الصم أساس لصحة الجسم والنمو الطبيعي ضروري لاطراد نمو البدن واتزان تفاعلاته . فالمارد والتوم والمرأة الحاسة والرجل الغليظ والبنت السمينة والجاحظ العينين والمنتفخ الأوداج والأبله والعصبي والنحيل والمقعد والعقري أيضاً ، كل هؤلاء نتيجة تركيب غير سوي في غدهم الصم أو اضطراب عميق في تغذيتهم وطراز حياتهم. فسلباة من لا يتقنه إلا القليلون .

دكتور بشير الفاخوري
رئيس المخبريات الطبية في معهد الطب بدمشق

من أنواع النبات الطبي

١ — ﴿ البَشْروج (سنهاني معرب) ﴾ شجرة من اليثوعيات تنبت في جنوب آسيا اسمها النباتي Tylophra asthmatica وبالانكليزية Bourbon scammony وبالفرنسية asclépiade asthmatique جذورها فيها خواص مقيئة ومعرّقة ومنفثة وتعرض عرق الذهب (الابيكاكوانا) ينفع في الدوسنطاريا ويدخن بأوراقها لتسكين الربو . ويستخلص منها شبه قلوي يسمى « تيلوفورين » يستعمل في الطب مقيئاً .

٢ — ﴿ البوتبهلة (سنسكريتي معرّب) ﴾ اسم نبات من القطانيات (القرنيات) سنوي ينبت في الهند بالمناطق الجافة ويتردد ارتفاعه بين قدم وثلاث أقدام . اسمه النباتي Psoralea corylifolia وبالانكليزية bawchee seed plant وبالفرنسية dartier de Pondicheri يستعمل الزيت الراتينجي للبذور ضد الجذام وداء الفيل وأمراض الجلد المختلفة وبالأخص الطفحات الزهرية .

٣ — ﴿ البُنْتَة (طاملي معرب) ﴾ شجرة كبيرة عريقة من القطانيات (القرنيات) تنبت في الهند والصين واستراليا . أوراقها ريشية لامعات وحملها عناقيد من أزهار بيض تضرب الى لون القشدة طيبة الرائحة . اسمها النباتي Pongamia glabra وبالانكليزية Indian Beech وبالفرنسية arbre de pongolare تستعمل عصارة جذورها علاجاً للقروح ولتنظيف الأسنان وتقوية اللثة وزيتها يستعمل ضد الجرب والهربس والأمراض الجلدية الأخرى والروماتزم .

٤ — ﴿ الشُّوطم (برازيلي معرب) ﴾ شجرة من استروكوليات تنبت في الأنتيل والبرازيل . اسمها النباتي Guazuma ulmifolia وبالانكليزية bastard cedar وبالفرنسية cèdre de la Jamaïque; orme d'Amérique والمستعمل قشرها وهو قابض غروي بحالة شراب يستعمل في الحميات المحارة وهو منق في الأمراض الجلدية . وفي بلاد البرازيل يستعمل مقوياً للجروح والقروح .

٥ — الحشيش الالهي : نبات من الفصيلة المركبة ينبت في المناطق الحارة بالشرق اسمه النباتي Siegesbeckia orientalis وبالفرنسية herbe divine وهو منوع منق في أعلى درجة كثير النجاح في معالجة القوب والقروح ويستعمل من الباطن مضاداً للداء الزهري وأمراض الجهاز التناسلي البولي . ومن الظاهر ضد الهربس والسفة وهو معرّق أيضاً .

محرره مصطفى الرمالي

مكتبة المقتطف

الاداة الحكومية

تأليف ابراهيم مدكور ومريت غالي ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير

نشرته دار الفنون للنشر بالقاهرة : ١٩٤٥

أول كتاب من نوعه في معالجة الأمراض التي نشكو منها في الأداة الحكومية . وقد نزع مؤلفاه الفاضلان نزعة وطنية صرفة ، وأضفيا على الكتاب روحاً مستقلة كل الاستقلال فبدت في صفحات الكتاب جليَّة واضحة قوية ، وأخرجاه صورة واضحة للتفكير السياسيّ الناضج . وهذا الكتاب على أن له قيمة كبيرة من هذه الناحية ففيه ناحية أخرى لا تقل عن هذه قدراً وقيمة ، تلك ناحية الأسلوب . فصفحات الكتاب مجلوة في أسلوب سهل مفهوم بعيد عن النظريات السياسية ، التي تتناول تلك التعميمات الواسعة في علم الاجتماع . فتراه مصريًّا عظماً ولحماً ودماً . تناول الكتاب أخص مشكلاتنا السياسية فحللها وشرحها وعطف على المشكلات الدستورية فأبان عن سوآتها الجلّى وتناول الأحزاب والادارة والنظام الوزاري . كل هذا في سوق تقدي هادىء أساسه المنطق المنتظم من الأحداث التي مرَّت بنا منذ اعلان الدستور وقيام النظام الديمقراطي في بلادنا . ولم يقتصر الكتاب على هذا . بل لقد تناول المؤلفان وصف الدواء ولم يقتصرا على وصف الداء ، ووضعا القواعد العامة التي يمكن أن يقوم عليها أساس دستوري يضمن لنا شيئاً من الاستقرار ، وشيئاً كثيراً من فرص التقدم نحو مثاليات عليا .

من الأمثال التي نضربها على ما نقول ما ذكر المؤلفان في ص ١٠٨ من الكتاب في ضرورة تأليف مجلس الدولة ليتم لنا به القدرة على السير بتشريعاتنا سيراً حثيثاً لعالج به مختلف الشؤون الحيوية للبلاد . قالا : «إن الآلة البرلمانية في بلادنا تنقصها قطعة — وقطعة

عامة — يتوقف عليها سير العمل وكمال انتاجه. وليست هذه القطعة شيئاً آخر سوى مجلس الدولة الذي سنتحدث عنه في تفاصيله بعد قليل. ويكفينا أن نشير الآن الى أن هذا المجلس هو الكفيل وحده بأن يغذي البرلمان بالمادة التشريعية الضرورية غذاء صالحاً ومستمراً. فيخرج تشريعنا من بطالته وجموده، ويتكامل بحثه وتمحيصه، ويحكم صياغته ويوفر له ما هو في حاجة اليه من تناسق وانسجام».

وتناول الحزبية فقال: «ويقيننا أن أحزابنا يوم أن تعتمد على برامج ثابتة وخطط واضحة، ستقضي على كثير من الفوارق الشخصية التي تفصل بينها اليوم. وعلى كل حال يحتاج النظام النيابي لكي يسير سيراً عجلياً الى حزبين رئيسيين، يتبادلان الحكم فيما بينهما، ويشرف كل واحد منهما على الآخر ويراقبه مراقبة نزيهة فعالة».

وعلى هذه الوتيرة سار المؤلفان في الوزارة والعمل والتوجيه والنظام الاداري والموظفين والقضاء. والكتاب في جملته قطعة فنية فقهية رائعة ينبغي أن يقف على روحها كل مصري في هذا العصر.

مشكلة البطالة

تأليف حسين حمدي عدو مكتب البحوث الفنية في وزارة الشؤون الاجتماعية،
نشرته مكتبة النهضة المصرية ٤٣٢ صفحة من القطع الاوسط — ١٩٤٤

لا ريبة مطلقاً في أن مشكلة التعطل هي أعظم مشكلات العالم كله، وربما من العالم أول ما يهمنا مصر بالذات. كانت هذه المشكلة شغل المفكرين والسياسيين قبل الحرب، وستصبح شغلهم بعد الحرب. وقد عالج المؤلف في هذا الكتاب المشكلة من وجهة النظر المصرية فعمد الى شرح التعطل وتاريخه والاسباب التي تؤدي اليه والوسائل العامة في علاجه. كل هذا تمهيد لدراسة ايجاد المدخر، فأهاد ذلك الى الاجادة في الموضوع. وقد شرح الجهود التي بذلتها الامم الاخرى في مكافحة هذا المرض الاجتماعي الوبيل وتناول ما بذلته أمريكا وانجلترا والمانيا والسويد وروسيا، ثم عطف الى مصر وحلل أسباب البطالة فيها ووصف الطرق التي يستطيع بها مصر أن تكافح هذا الداء، والنظم التي ينبغي أن تساير وجوه الاصلاح لتكفل لكل مصري العمل اللائق بمركزه الاجتماعي، ويضمن له ولأسرته حياة مستقرة هي في الواقع أساس الانتاج وأساس الحضارة

ابن باجة

تأليف عمر فروخ : دراسات قيمة في الأدب والتاريخ والفلسفة

طبع بيروت ٨٥ صفحة من القطع الأوسط : ١٩٤٥

ابن باجة من الفلاسفة الذين لم يدرسوا الدرس الكافي بعد . شأنه في ذلك شأن رفيقه ابن طفيل . وقد عدد المؤلف المصادر التي رجع اليها في تأليف رسالته مما يدل على الطريق التي يمكن لمن يريد أن يتوسع في الدراسة سلوكه اذا أراد . ومن أهم هذه المصادر مجموعة رسائل لابن باجة مخطوطة في مكتبة برلين العامة رقم ٥٠٦٠ ، ولا نعرف الآن ماذا فعلت هذه الحرب بها . وقد تكلم المؤلف في المغرب ومعالم تاريخه ثم في انتقال الفلسفة اليه . وعقب على ذلك بترجمة لابن باجة وتكلم في فنه وخصائصه العامة ووصف كتبه وبسط فلسفته بسطاً سهلا مقبولا ثم نقل نماذج من فلسفته . فهذه الرسالة على صغرها كبيرة النفع لمن يعنون بدرس آثار العرب وفنونهم وبخاصة نواحيهم الفلسفية ، وهي من أحق النواحي بالدراسات المستفيضة .

رفاعة الطهطاوي

من سلسلة اعلام الاسلام تأليف جمال الدين الشال نشرته لجنة دائرة المعارف الاسلامية

١٣٦ صفحة من القطع الصغير : القاهرة ١٩٤٥

هذا الكتاب بالرغم مما بذل فيه من مجهود كبير ظاهر في صفحاته ، يدل دلالة واضحة على ان تاريخنا القريب ، ونقصد به تاريخ النهضة العلوية يكاد يكون مفقوداً ، فلا نعثر فيه على غير مزق ورقع ، فما تخرج منها صورة كاملة لرجل من رجال ذلك العصر . ويكفي أن نعرف أن أرمنيًّا كان يوماً ما وزيراً لمعارف مصر في عهد الاحتلال الانجليزي ، وأمر ببيع مخازن الكتب المترجمة والمؤلفة في عصر محمد علي فبيعت بالجملة لبعض الورّاقين لطهلاء فأرسلوها أبابيد .

ولقد تتبع المؤلف حياة رفاعة الطهطاوي منذ أن نشأ الى أن أرسل مع البعث الأول الذي أوفده محمد علي للتعلم في فرنسا إماماً يفقه الطلاب في أمر دينهم ويذكرهم بالاسلام في بلاد الأنجام ، الى أن نبغ وبرز في العلوم والترجمة ، فأصدى بذلك التاريخ المصري والأدب الحديث يداً لا تنسى وأحبا من ذكر رجل وقف حياته كلها على العلم ومد آفاق العربية عشرين طولاً .

أبو حنيفة

بطل الحرية والتسامح في الاسلام

تأليف عبد الحليم الجندي المحامي بالمحاكم الاهلية ٢٢٠ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار سعد مصر بالقاهرة : ١٩٤٥

لا أستطيع أن أحكم إذا كان كتّاب المقالة القصيرة في انجلترا هم الذين نهضوا بالأدب الانجليزي الحديث أم كتّاب التراجم . على أني لا أكاد أتصوّر الحالة التي يكون عليها أدب هذا الشعب العظيم إذا أخرجنا منه تراجم عظمائه التي خطّت يراعة النابغين من كتّابه .

كلما فكرت في هذا ساورتني فكرة في ما سوف يكون عليه أدبنا العربي إذا تمت الترجمة لرجال العرب على الصورة التي ترجم بها لرجال الانجليز . وفي رجال العرب عشرات هم الى جانب العظمة أدنى من كثير من رجال الانجليز الذين ترجم لهم باعجاب وتوك رجالنا نسياً منسيًّا وسيرهم أفلتات في بطون الكتب لا تكاد تقع طرف من سيرة أحدهم حتى ينتقل بك مؤلفه الى شيء آخر لا يمت إليه بشيء إلاّ كما يمت سهيل للثريا . والترجمة لأبي حنيفة إمام الاسلام وصاحب القياس وبطل الحرية الفكرية إحدى الحلقات التي تنقص أدبنا العربي الصميم

ولقد مضى المؤلف الفاضل في ترجمته لرجل الاسلام العظيم مُمضيًّ الكاتب المرن الحاذق فعالج موضوعه معالجة العارف بدقائقه وتفاصيله ، وبأسلوب سهل رقيق ، أعانه على التصوير فهو قوي متدفق حيث يقتضي الموقف القوة والتدفق ، لين مرن حيث يقتضي الموقف اللين والمرونة . هذا ما جعل الكتاب قطعة فنية من أدبنا الحديث .

إيليا أبو ماضي

والحركة الأدبية في المهجر

تأليف محمد رضي صوفت : أول كتاب من سلسلة الشعراء المعاصرين
٩٦ صفحة من القطع الاصغر : طبع بغداد : ١٩٤٥

الشاعر إيليا أبو ماضي من شعراء التجديد المحدثين له روح في الشعر خاصّة به وأسلوب إن اشترك فيه كثير من شعراء هذا العصر الاّ أن روح هذا الشاعر تغلب أسلوبه دائماً . فهي تشيع في شعره وتذيع أسلوبه بطابعها ، فأسلوبه إذن مستمد من روحه . وهذا قليل في الشعراء . فان الكثير منهم من يغلب أسلوبه روحه ، فتذيع في شعره صفة الصناعة ، صناعة النظم ، لا روح الشعر .

ولقد قدّم الكتاب صديقنا الأديب الأستاذ روفائيل بطي صاحب جريدة البلاد ببغداد فكانت هذه المقدمة خير تعريف بالشاعر الكبير . وتناول المؤلف بعد ذلك أدب أبناء العروبة في مهجرهم فحلّله أحسن تحليل وأبان عن مزاياه وعن نواحي التجديد فيه ، وعطف

الى جماعة ارابطة القلمية ومضى في تحليل شعر أبي ماضي من دواوينه الكثيرة وختم الكتاب بنص كامل « للقصيدة » العظيمة التي عنوانها « الحكاية الأزلية » وهي أشبه ما يكون بقصيدة شاعرنا المصري علي محمود طه التي عنوانها « الله والعالم » لا من حيث الموضوع ولا من حيث الفكرة ولكن من حيث ان القصيدتان تحملان في ثناياهما تأملاً عميقاً وفكرة تدور من حولها تمت الى الناحية الاستشرافية من الطبع الانساني .

ولا يسعنا إلاَّ أن ننقل للقراء مطلع هذه القصيدة البالغة فقيه مجمل الاتجاه الذي اتجهه الشاعر ابو ماضي فيها ، وان كانت القصيدة من أولها الى يائها متعة شعرية رائعة :

كان زمان ، لم يزل كائنا وحالة ، ما برحت باقيه
ملَّ بنو الانسان أطوارهم وبرموا بالنقم والعافيه
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا لو انه كوَّنهم ثانيه
وبلغت أصواتهم عرشه في ليلة مقمرة صافيه
فقال : اني فاعل ما اشتهوا لعلَّ فيه حكمة خافيه
وشاهدوه هابطاً من علٍ فاحتشدوا في السهل والرابيه
من القرى الكثيبة العارية والمدن الضاحكة الزاهيه
تألبوا من كل صوب كما تجتمع الأمطار في الساقيه
ويدفع الشيخ القوي عوده وصار مثل الزمة البالية
فتى مضى الفجر ولما تزل روعته في وجهه باقيه
وتزحم الحسناء مكورة خلابة كالروضة الحاليه
دميمة تشبه في قبحها مدينة مهجورة عافيه
فقال رب العرش ما خطبكم ؟ ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكم عاقراً أم غارت الأنجم في هاويه ؟
أم أقلع الماء فلا جدول وماتت الطير فلا شاديه ؟
أم فقدت أعينكم نورها أم خشيت أرواحكم خاشيه
أين الهوى ان لم يكن قد قضى فكم جرح واحد آسيه

وهكذا يمضي الشاعر يعدد مطلوبات الورى حتى يقول رب العرش للورى « كونوا لما تشتهوه » فأخذهم الأسف لأنهم لم يجدوا جديداً بل وجدوا الأمر كما كان ، فالقبح كان الجمال ، والخير كان الطلاح ، وليس من نقض ولا كمال .

والفكرة برمتها مأخوذة من قطعة نثرية لكاتب إنجليزي لا أذكره الآن . ولكن الشاعر تصرَّف فيها ، فحلاها في حلة جديدة فيها كل الروعة وكل الجمال .

فهرس

الجزء الخامس من المجلد السابع عشر

٣٨٥ التشريعات . بحث فلسفي تحليلي : اسماعيل مظهر
٣٩٠ دار الامارة او قصر بيت الدين
٣٩٣ ابن النفيس : وديع فاخر
٣٩٧ فصل الخطاب في الاحلام : نقولا الحداد
٤٠١ الفلسفة والانتخاب الطبيعي
٤٠٥ الشمس : فهمي عطا الله
٤٠٦ تقدم العلاج : دكتور فريد فائق
٤٠٩ مدينة المستقبل
٤١٤ المخترعات الحربية في الحياة المدنية : عرض جندي
٤١٨ جزيرة العرب : محمد بن محمد آل جاسر
٤٢٠ نفحجي ج الهمج
٤٢١ هل عرف العرب الميركة : الياس يعقوب ٤٢٨ النقابة والنقابية
٤٢٩ الزجاج في الصناعة الحديثة
٤٣٤ العقيدة والعقيدي والمذهب العقيدي
٤٣٦ من حديقة أبيقور : محمد روحي فيصل ٤٣٧ المذهب العملي
٤٣٨ سيدة القصور : جمال الدين الشال
٤٤٢ الحلز : بحث معجمي في اللاهوت
٤٤٣ الحياة سر الوجود : جنا خباز ٤٥٠ هداية الطفل
٤٥١ الفاروق عمر : احمد محمد شاكر
٤٦٥ رعاية الامومة والطفولة : الدكتور حسن كمال
٤٧٠ الاشتراكية والعدل الاجتماعي
٤٧١ المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق . السيد محمد رجب
٤٧٨ الازادرية ٤٧٩ التسعير
٤٨٠ الجرابيات ولقوء الغدد الثديية
٤٨٤ التيفاس والطرموز : دكتور بشير العظمة
٤٩٠ أرباح النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك
٤٩١ مكتبة المنتخب ، الآداب الحكمية ، مكتبة البطالة ، ابن ماجة ، رفاعة الطهطاوي ، ابو حنيفة ، ايليا ابو ماضي .

فهرس المجلد السابع بعد المئة

من المقتطف

	وجه
(ا)	
ابتسامة الجيوكوندا	
(قصة)	٣٦٧
ابل العم سام	٣٩٣
ابن باجة	٤٩٣
ابو حنيفة	٤٩٤
أبيقور حديقته	٩٨، ٤٣٦
الاتحاد القومي، داؤه وأدواؤه	٢١
الاجهاد العصبي	١٨٩
الأحزاب في بريطانيا	٢٤٠
الأحلام والروح	٦٤، ١٢٩، ٢٤٦، ٣٤٨
ادلر: سيكولوجيته	٣٢٩
الاداة الحكومية	٤٩١
الاذاعة وأوجه القمر	٨٧
الأرواح	٢٤٦، ٣٤٨، ٣٩٨
أساطير القدماء ودلالتها	٢٣٥
الأسرة والمجتمع	١٢٥
الاشتراكية	٤٧١
أشعة اكس في الحرب	٢٦٢
أشعة ما دون الاحمر	١٧٠
الافلاطونية الجديدة	٢٨١
الاقتصاد والاجتماع مجلتها	١
آلة زراعية	٨٦
آلة لكشف عيوب المعادن	٨٦
الى الوراء: نقد	٦٧
الأمومة والطفولة رعايتهما	٤٦٥
الانابيب والغاب	٨٧
انجلترا سياستها الخارجية	٢٧٨
انسان الفحل	١١٩
أهل القمة في العصر الماضي	٢١٤
أوربا نهضتها في القرن الثاني عشر	٢٨٣
(ب)	
البابلفيل حشايا	١٧٤
البريسيبيتيرون جهازه	١٧٤
البنسلين واحتقان الزور	٧١، ٨٢
(ت)	
التاريخ عمل انساني	١٨٣
تاريخ مصر القديمة تقسيمه	٣٥٦
التأمل: حكمته	٢٤
التدخين: اضراره	١٢٤
التدفئة	١٧١، ١٧٢
التسخين بالصمامات	١٧١
التسمم (بحث)	٤٧٩
تشيكوف: انطون	٣٢٤
التعاون والمباراة الصراع بينهما	١١١
التغذية الصحيحة	٢٠٢
التليفزيون والمستقبل	٨٧
التهيج الانفعالي	١٣٨
تولستوي	٢٩٧
(ث)	
الثديات (بحث)	٣٨٥
(ج)	
الجرابيات (بحث)	٤٨٠
الجراحة: معجزاتها	١٤٧
جزيرة العرب: جوها	٤١٨

وجه

(ح)

حق غريق في بحر الباطل ٣٨
الحل (بحث) ٤٤٢
حمى الحمام ٢٠
الحياة سر الوجود ٤٤٣
الحيتان ٢٩٦

(خ)

الخراج ١٠٠
الخزاف: هولابه ٨٣

(د)

دار الامارة ٣٩٠
الدم: نقله ٢٢٢

(ر)

الراديو المبصر ٢٦٣
الرأي العام الاجتماعي
تكوينه ٤١
رفاعة الطهطاوي ٤٩٣
الرهبانية ٢٨٢

(ز)

الزجاج في الصناعة
الحديثة ٤٢٩
الزجاج الملين والسجائر ١٧٤
الزمان الوجودي. تعليق ١٦

وجه

(س)

سلالة تتهيأ للانقراض ٢١٠
سيادة مصر على البحار
نشأتها ٢٦
سيادتنا بعد الحرب ٨٦
سيدة القصور ٤٣٨

(ش)

الشمس ٤٠٥
الشمس: ادخار حرارتها
للتدفئة ١٧١
الشيكولاته
والفيتامينات ٨٥

(ص)

الصودا: صناعتها ٢٦٠
صور للمجموعات
الشمسية ٨٤

(ط)

طائرة يخترعها غلام ٨٥
طبقة من نور
وأخرى من ظلام ٢٦٥
الطبيعة: عبثها ٣٧
الطفل: هدايته ٤٥٠
الطفولة والأمومة
رعايتهما ٤٦٥

وجه

(ع)

عالم المجهول ١٠٩
العجائن الكيميائية ١٧٣
العرب هل عرفوا أمريكا ٤٢١
العصب والألم ٣٢
العقيدة «بحث» ٤٣٤
علّم آدم الأسماء ١٧
علماء المانيا يحاكمون ٢٦٢
علم النفس ـ مجلة ـ ١٥٠
العلم والفلسفة ١٧٧
العلاج تقدمه ٤٠٦
عين زبيدة في مكة ٣٣

(ف)

الفاروق عمر ٤٥١
الفطام ٢٧٣
الفقر والحضارة
الاغريقية ٣٠١
الفلسفة والانتخاب
الطبيعي ٤٠١
الفلسفة والعلم ١٧٧
الفيتامين والهرمون ٤٨٤
الفيرس دراسته ٨٤

(ق)

قارب لا يغرق ٨٧
قارئ بعدسين لا تضحك ٢١١

وجه
القديم: وأثره في الحديث ٢٣١
القراءة في الظلام ٨٦
قصر الامارة ٣٩٠
قصيدة:
الحمامة المفقودة ١٣٦
الصباح ٢٧٩
المساء ٢٥
القطن: ترقية زراعته ٢٦٢
القلب: وأمراضه ٥٧ و٢٢٣
القنبلة الذرية: سرها ٣٥٨

(ك)

الكحول صناعته ٢٦٠

(م)

ماء عذب في البحر المالح ٨٧
الماء ٥٦
مالك بن نويرة: مقتله ١٩٠
المباراة والتعاون
الصراع بينهما ١١١
المخترعات الحربية في
الحياة المدنية ٤١٤
مدينة الشمس ٣٠٨
مدينة المستقبل ٤٠٩
المذنبات: تعريفها ٣٠٠
المذهب العقلي ٢٨٩
المذهب العملي «بحث» ٤٣٧
المرض والتنبؤ به ٨٥
وجه
المريخ سره ٣٣٥
مساجد دمشق ١٣١، ٢٠٣، ٣٣٦، ٤٧٢
مشكاة البطالة ٤٩٢
مطابخ بلا خدم ١٧٥
المطاط صناعته ٢٦١
المعادن كشف عيوبها ٨٦
معجم لغوي قواعد
تأسيسه ٣٠٩
المغناطيس تيارم ٣٠٥

مكتبة المقتطف:

ابراهيم الكاتب ٢٥٩
ابن باجه ٤٩٣
أبو حنيفة ٤٩٤
الأداة الحكومية ٤٩١
أسرار المراهقة في
الفتاة ٧٩
الأسرة والمجتمع ٨٠
الانجليز كما عرفتهم ٧٩، ٢٥٢
ايليا ابو ماضي ٤٩٥
البلاغة العصرية واللغة
العربية ٨٠، ١٦٥
البيادر ٨١
التعليم في رأي القابسي
٨١، ١٥٩
توفيق الحكيم ٨١
جنة الشوك ٥٠
الحرية ٨٠
الحياة الروحية في
الاسلام ٢٥٤
دفاع عن البلاغة ٣٨٠
ذكرى الافغاني في العراق ٨١
الرحالة المسلمون في
العصور الوسطى ٨٠
رفاعة الطهطاوي ٤٩٣
الروائع لشعراء الجيل
و ١٦٨ ٨١
روح التربية والتعليم ٨٠
زعزم الغريقة ٢٥٣
صامات الصمت ٧٩
شخصيات ومذاهب
فلسفية ٢٥٧
الشرع واللغة ٧٨
الشوق العائد ٨٠
الصهيونية ٨٠، ٣٧٨
العصر العباسي الاول ٣٨٣
فلسفة الأخلاق في
الاسلام ٧٥ و ١٦٥
الفلسفة الرواقية
٢٤٩، ٣٧٦
فن القصص ٣٨٢
فن انشاد الشعر العربي ٣٨٣
في تلك الأيام عاش المعري
٨١

وجه

القومية والعروبة ٧٩
محمد عبده ٢٥١
مجلة الكتاب ٣٨٣
مرايا الناس ٨١ ، ١٦٢
مشكلات الأطفال اليومية ٢٥٦
مشكلة البطالة ٧٩ و ٤٩٢
مشكلة الفلاح ٨١
الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ٢٥٤
ملك من شعاع ٣٧٨
نساء عاشقات ٨٠
نهر دس اس ١٦٧

وجه

مكواة آلية ٨٦
المواد الصناعية ٢٦١
موقد كهربي ٢٦٣

(ن)

النبات الطبي انواعه ٧٢، ١٤٨، ٢٤٤، ٤٩٠
النظام المالي : قواعده ٨، ١٠٠
النقابة والنقابية (بحث) ٤٢٨
النيلون لباب منه ١٧٢

(هـ)

الهرمون والفيتامين ٤٨٤

وجه

الهضمي (بحث) ٤٢٠
هيرقليطس الايوني ٩٠
الهيئة العالمية ومجلس الاقتصاد والاجتماع ١

(و)

الورق صناعته ٢٦٠
الوساطة والمحسوبية والاستثناء ٢٩٠
اللاأدرية (بحث) ٤٧٨

(ي)

اليأمور ٣٦٥